الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ

الصلات الثقافية بين تلمسان وغرناطة

خلال القرنين السابع والثامن الهجريين 13م/14م

إعداد الطالب :

- بن زياني عبد الحكيم

تحت إشراف الأستاذ:

د. كريب رمضان

السنـــــــة الجامعيـــــــة:

1434 – 1435هـــ/ 2013 –2014م

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم ..FACL..1
بتاريخ ..2015
الرقم ..0269F

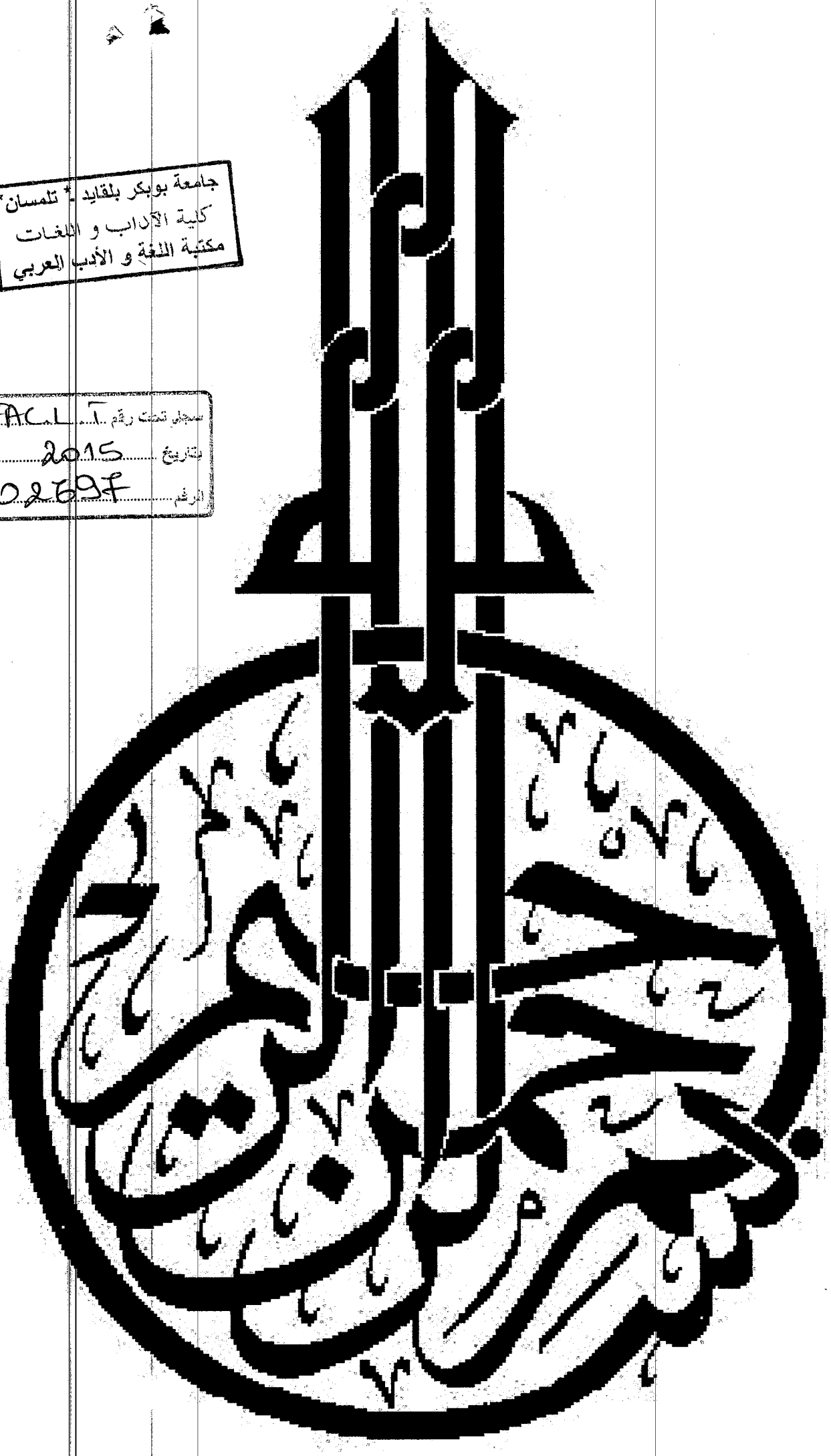

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعاني على أداء هذا الواجب

ووفقني إلى انجاز هذا العمل.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل

وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، وأخـــص بالذكر الأستاذ المشرف

الدكتور كريب رمضان الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة

التي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث.

كمالا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الذين أشرفوا على مناقشة هذه الرسالة

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في كتابة و

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى والدي العزيزين أدامهما الله لي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أقاربي

إلى كل أصدقائي

إلى كل غيور على لغة القرآن الكريم

مقدمة

لقد كانت للمغرب الأوسط علاقات وروابط بين مختلف الأقطار، وفي مختلف المجالات: السياسية، الاقتصادية، الثقافية، سواء مع المغرب الأقصى والأدنى أو مع بلاد السودان الغربي والأندلس وكذا مع المشرق الإسلامي وأوروبا المسيحية، ولعلّ العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، وحاضرتيه تلمسان وغرناطة كانت هي الأبرز بين تلك العلاقات، ويظهر ذلك جليا من خلال نشاط التبادل الثقافي وحركة العلماء الكثيفة بين القطرين، وفي هذا الإطار تندرج مذكّرتي التي تعالج موضوع الصلات الثقافية بين تلمسان وغرناطة خلال القرنين 7هـ و8هـ/12م و13م، وهي الفترة الأبرز في تاريخ العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس.

وللموضوع أهمية كبيرة لأنّه يسلّط الضوء على الحياة الثقافية في كلّ من تلمسان والأندلس خلال الفترة المدروسة، ويتعرّض لمشاهير العلماء بالقطرين مع إبراز دورهم في تمتين العلاقات والروابط الثقافية، ورغم هذه الأهمية لم توليه الدراسات التاريخية اهتماما كبيرا، وهذه من الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع، إضافة إلى الطابع المميّز الذي تكتسيه مثل هذه الدراسات والتي تلزم على الباحث إعمال الفكر وتوخّي الدّقة حتى يتمكّن من الخروج باستنتاجات هامّة حول الموضوع.

ولعلّ الإشكالية التي تتبادر إلى الذّهن عند دراسة هذا الموضوع هي: ما هو جوهر العلاقات الثقافية بين تلمسان وغرناطة وفيما تكمن وتتجسّد؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدّة تساؤلات أهمّها:

- كيف كانت الحياة الثقافية في كلّ من تلمسان وغرناطة خلال القرنين السابع والثامن هجريين؟
- ما هي العوامل المساعدة على تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين؟
- ما هي أبرز مظاهر العلاقات الثقافية بين القطرين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدت على خطّة بحث مكوّنة من مقدمة ومدخل عبارة عن لمحة تاريخية عامّة عن تلمسان وغرناطة، ثمّ ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول أبرزت فيه مختلف العوامل المساعدة على ازدهار الحياة الثقافية في كلّ من المغرب

الأوسط والأندلس خلال الفترة المدروسة من خلال التطرّق إلى دور السلاطين في المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية وعوامل أخرى في كلا القطرين.

أمّا الفصل الثاني تطرقت فيه إلى أصناف العلوم المدروسة آنذاك النقلية والعقلية وأبرز علماء الفترة في كلّ من تلمسان وغرناطة، أمّا الفصل الأخير فبيّنت فيه مختلف العوامل المساعدة على تمتين الصلات الثقافية بين المدينتين ومظاهر العلاقات الثقافية بينهما والمتمثلة بصورة أساسية في حركة العلماء التي جمعتهما.

ثمّ ختمت بخاتمة وهي عبارة عن خلاصة واستنتاجات لما توصّلت إليه من نتائج حول موضوع الدراسة.

وقد اعتمدت على منهج تاريخي علمي قائم على السّرد وذكر المعلومات وتحليلها تحليلا عقليا، وذلك بعد الوقوف على أهمّ المصادر المتعلقة بالموضوع ومقارنة نصوصها، وتفسير الأحداث ومناقشتها، والتحرّي بالدقّة والموضوعية قدر الإمكان.

دراسة المصادر والمراجع:

وقد اعتمدت في إنجاز مذكرتي على عدّة مصادر منها ما هو خاص بالدولة الزيانية أو بالأندلس خلال الفترة المدروسة، أو مصادر عامة عن بلاد المغرب والأندلس ومنها ما يتعلّق بالسّرد والتراجم والجغرافيا ومن جملة هذه المصادر:

1 – الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب الذي عرفني بالكثير من علماء أهل الأندلس.

2 – اللمحة البدرية في الدولة النظرية لنفس المؤلف لسان الدين بن الخطيب.

3 – بقية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد لصاحبه يحيى بن خلدون، والذي ساعدني في البحث عن العلماء وحياتهم وتواريخ وفاتهم.

4– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون.

5– تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدّرر والعقيان في بيان شرف بني زيان لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني.

6- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني.

كما استأنست ببعض المراجع أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

1 – أبو حمو موسى الزياني لصاحبه عبد الحميد حاجيات.

2 – تلمسان في العهد الزياني لمؤلفه عبد العزيز فيلالي وهي رسالة دكتوراه تحكي تاريخ تلمسان إبّان الفترة الزيانية، وتحوي بشكل مفصّل مناهج التّعليم بتلمسان وحتى حواضر المغرب الإسلامي الأخرى.

وما من باحث في التاريخ إلاّ وتعترضه صعوبات ومن أهمّ الصعوبات التي واجهتها في هذه الدراسة نقص المصادر المتخصصة بصورة مباشرة في موضوع الهجرة الأندلسية مقارنة بالمصادر العامّة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس والتي تحتوي على إشارات لبعض جوانب الموضوع وخاصّة الجوانب الثقافية، ولهذا اضطررت في بعض الأحيان إلى الرّجوع لبعض المراجع التي لها صلة بالموضوع، بالإضافة إلى الاختلاف بين المصادر في بعض الأحداث من حيث وصفها وتواريخها، وهو ما جعلني أقوم بتمحيص كبير قبل تدوينها.

مدخل

1 – تلمسان قبل العهد الزياني:

تعدّ مدينة تلمسان[Δ] من المدن القديمة بالمغرب الأوسط بصفة خاصّة والمغرب الإسلامي بصفة عامّة، فهي قاعدة المغرب الأوسط وأهمّ مراكز الإشعاع الثقافي به خلال العهد الإسلامي.

وقد مرّت تلمسان بعدّة مراحل وأحداث حيث شهدت ثورات مناهضة لسياسة الولاة أهمّها ثورة أبي قرّة بن دوناس المغيلي سنة 148 هـ/ 766م والذي كان رئيسا لمغيلة وبني يفرن بنواحي تلمسان[1].

وبعد قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى زحف إدريس الأوّل إلى تلمسان سنة 174هـ/790م[2]، وأصبح ملكا عليها ثمّ خلفه أخوه سليمان بن عبد الله بعد وفاته ولكن سرعان ما أصاب مملكة الأدارسة الضّعف، صارت تلمسان بيد موسى بن أبي العافية الذي سار إليها سنة 319هـ/930م وأخرج بني سليمان منها لتصبح تلمسان بعد ذلك خاضعة لحكم الأمراء والشيوخ المحليين سواء من بني يفرن أو مغراوة لما خضعت لحكم صنهاجة[3].

وبقي الأمر على حاله إلى أن دخل المرابطون المغرب الأوسط بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 468هـ/1074م، فأخضعوا العديد من مدنه ومن أهمها تلمسان سنة 473هـ/ 1080م فبنى مدينة تاجرارت أو تلمسان سنة 475هـ[4].

بقيت تلمسان تحت حكم المرابطين حتى قامت دولة الموحدين على أنقاضها فدخلها عبد المؤمن بن علي الكومي 540هـ/ 1145م[1].

Δ – تلمسان كلمة بربرية مركبة من "تلم" ومعناه تجمع و"سان" ومعناه اثنان وبذلك يصير معناه تجمع اثنين: الصحراء والتلّ، ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 85.

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، ج7، دار الفكر ، بيروت، 2000، ص 17–18.

[2]– عبد الله التنسي، تاريخ دولة الإدارسة، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص35.

[3]– المصدر نفسه، ص 35.

[4]– محمد عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 44.

وبعد أن عمّ الضعف الدولة الموحدية خاصة بعد هزيمتها في معركة حصن العقاب سنة 609هـ، تفرقت بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول: دولة بني حفص بالمغرب الأدنى، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى، ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط[2].

2 – قيام دولة بني عبد الواد بتلمسان:

أ – أصل بني عبد الواد:

بنو بعد الواد هم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن خلدون، "لقد تقدّم لنا في أوّل هذه الطبقة الثانية ذكر بني عبد الواد هؤلاء، وأنّهم من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأنّ نسبهم يرتفع إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا..."[3].

وقد ذهب يحيى بن خلدون مذهبه حيث يقول: "وهم فخذان: أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا الاسم عرف الجميع تغليبا، وأصله عابد الوادي رهبانية، عُرف بها جدّهم من ولد نسجيح بن واشين بن بصلتين بن مسرى بن زكريا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان...وفي سجيح يجتمع نسبهم ونسب فرعائهم من بني مرين...."[4].

أمّا محمد بن عبد الله التنسي، فيرى أنّ بني عبد الواد يرجع نسبهم إلى الأدارسة ملوك المغرب[5] إلاّ أنّ عبد الرحمن بن خلدون ينفي ذلك ويقول أنّه مجرد زعم اتفق عليه بنو القاسم، وحتى يغمراسن بن زيان (633هـ–681م/ 1236–1283م) أوّل سلاطين بني عبد

---

[1]– لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط على عهد بني زيان، (3–633–962هـ/1236–1554م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004–2005، ص 24.

[2]– المرجع نفسه، ص 25.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 97.

[4]– يحيى بن خلدون، ص 186.

[5]– محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 110.

الواد لما رفعوا نسبه إلى آل البيت أنكر ذلك وقال: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، أمّا الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا"[1].

كان بنو عبد الواد قبل الملك يستوطنون المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط ويجوبون الصحراء بمواشيهم[2]، حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط، فكان بنو عبد الواد السباقين لطاعتهم[3].

ب – تأسيس الدولة الزيانية:

استغلّ بنو عبد الواد ضعف الموحدين نتيجة انشغالهم بقمع الثورات المناهضة لهم كثروة بني غانية[Δ]، وانشغالهم بحرب القشتاليين إضافة إلى ثورات القبائل، أمّا الحدث البارز والذي كان له تأثير مباشر في ضعف الموحدين هو انهزامهم في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/ 1212م*، والتي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس.

نتيجة لهذا الضعف، صار شيوخ القبائل المخالفة يتدخلون في شؤون الحكم، ووصل الأمر بهم إلى حدّ تغيير الخلفاء، وفي هذه الظروف بسط بنو عبد الواد نفوذهم على المغرب الأوسط، وفي محاولة منه للقضاء على نفوذهم، قام والي تلمسان أبو سعيد عثمان أخو المأمون الموحدي بالقبض على مشايخ بني عبد الواد، فسعى للشفاعة فيهم إبراهيم بن

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 97.

[2]– لخضر عبدلي، المر جع السابق، ص 29–30.

[3]– يحيى بن خلدون، المصدر، ج 5، ص 198.

[Δ]– بنو غانية، ينسبهم المؤرخون إلى أمّهم غانية من العائلة المرابطية، امتلكوا جزر الباليار شرق الأندلس استقروا بها، وأنكروا ولاءهم للموحدين وكانت لهم حروب طويلة معهم، غزوا بجاية ومليانة وقسنطينة، أنظر عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 189.

*– معركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي وبين الجيش المسيحي بقيادة ألفونسو، بموضع يعرف في المصادر العربية باسم العقاب، نسبة باسم العقاب، نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الأمويين، ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب، وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 238–239.

إسماعيل اللمتوني، ولكن شفاعته لم تقبل، فغضب لذلك وثار على الوالي الموحدي وأطلق سراح شيوخ بني عبد الواد وخلع طاعة الموحدين[1].

إلاّ أنّ جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد عاود الدعوة للإمام الموحدي سنة 627هـ/ 1230م[2]، ودخل تلمسان والذي يعتبر خطوة أولى نحو تأسيس الدولة الزيانية[3].

هكذا أصبح بنو عبد الواد سادة على تلمسان وحاولوا توسيع نفوذهم، فأطاعهم الكثير وأبت ندرومة، فخرج جابر إلى ندرومة وحاصرها وقتل بها سنة 629هـ/1232م[4]، فخلفه ابنه الحسن، ثمّ ترك الحكم لعمه عثمان بن يوسف، إلاّ أنّه أزيح بسبب سوء سلوكه، فعين مكانه زيدان بن زيان[5]، إلاّ أنه قتل، فخلفه أخوه يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م الذي استقل بالحكم، وأخضع القبائل (بني راشد وبني مطهر) وأطر لدولته حيث نقلها من الإمارة إلى الملك بكلّ رسومه وشاراته (الكرسي السكة، الوزراء، الحجاب، الكتاب، العمال والولاة والجباية، والخراج...)، كما اتخذ تلمسان قاعدة لملكه[6].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 12.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص 112، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 199.

[3]- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1933، ص25.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص 113.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 105، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 200.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق ،ج7، ص 105-106.

لمحة عن غرناطة:

تعتبر مملكة غرناطة هي بقية ملك العرب في إسبانيا بعد تمزّق دولتهم، ووقوع أكبر المدن في أيدي الصليبيين، ففي الفترة ما بين (636هـ، 668هـ) استولى فرناندو الثالث ملك قشتالة وجايم الأول أرجون على مدن بلنسية، قرطبة، مرسية، وإشبيلية، وأصبح حكم العرب محصورا في غرناطة التي استطاعت لمناعتها أن تقاوم الإسبان لفترة قرنين من الزمن، وقد تسمى هذا العهد بعهد بني الأحمر[1].

ومدينة غرناطة أو أغرناطة والتي تعني الرمانة، إحدى أعظم وأجمل مدن الأندلس، كانت تسمى بدمشق الأندلس، لشبهها بمدينة دمشق[2]، وكانت هذه المدينة إبّان الفتح الإسلامي مدينة صغيرة لا أهمية لها، تابعة لإقليم ألبيرة، الذي كان يضمّ عدّة مدن إضافية إلى غرناطة كوادي آش، المنكب...[3]، وبعد استكمال عملية الفتح لم يعرها المسلمون اهتماما كبيرا ولكن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (422هـ/1029م) واستفحال الثورات والفتن، واستيلاء البربر على ألبيرة، انتقل جلّ سكان هذه الأخيرة إلى غرناطة التي حلت محلّ ألبيرة، ولمّا استولى عليها (غرناطة) البربر هي الأخرى بزعامة زاوي بن زيري الصنهاجي 425هـ/1032م أصبحت عاصمة لبربر صنهاجة بالأندلس، إلى أن استولى عليها المرابطون سنة 483هـ/1089م بقيادة يوسف بن تاشفين الذي انتزعها من عبد الله بن بلقين الصنهاجي[4]، وبعد ضعف المرابطين وسقوط دولتهم، استولى عليها الموحدون سنة 541هـ/1146م ليسيطر عليها فيما بعد محمد بن يوسف هود الجذامي سنة 628هـ/1231م

---

[1]- أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عهد بني الأحمر، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص 29.

[2]- ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الآفاق الجديدة بيروت، 1980، ص 21-22.

[3]- اليعقوبي، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضنّاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 193، الإدريسي، المصدر السابق، ص 193.

[4]- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 250.

الذي ثار على الموحدين سنة 625هـ/1228م، واستولى على مناطق واسعة من الأندلس[1]، وبدوره ثار عليه محمد بن يوسف بن نصر (ابن الأحمر) واستطاع الاستيلاء على غرناطة ومدن أخرى في حدود سنة 635هـ/1238م[2]، واتخذ من غرناطة عاصمة لدولته[3]، فعظمت المدينة وأضحت أهم وأبرز مدن الأندلس على الإطلاق، وقد اعتنى بها سلاطين بني نصر عناية كبيرة، إذ شيّدوا بها المساجد والقصور والحصون[4].

وفي الوقت الذي عظمت فيه مدينة غرناطة، كانت مدن الأندلس الأخرى اقلّ حظّا منها، إذ استولى النصارى على أغلبها، كماردة سنة 627هـ/1230م، قرطبة 633هـ/1236م، بلنسية 636هـ/1238م، إشبيلية 646هـ/1248م وغيرها ممّا جعل سكان هذه المدن ينحازون إلى المدن التي كانت لا تزال بيد المسلمين لاسيما غرناطة كونها عاصمة الدولة[5]، وبفضل موقعها الحصين[6] ودهاء حكامها من بني نصر استطاعت الصمود ولو لمدّة أمام ضربات النصارى[7].

1 – أصل بني الأحمر وبدايتهم بغرناطة:

يعود أصل بني الأحمر إلى قبيلة الخزرج من المدينة[8] وبالضبط إلى سعد بن عبادة الأنصاري، وتذكر الرواية "أنّه دخل من ولد سعد بن عبادة رجلان نزل أحدهما أرض تاكرونا، ونزل الآخر قرية سقرسقطونة تعرف بقرية الخزرج"[1].

---

[1]– المصدر السابق ، ص 277.

[2]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 204–205.

[3]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ، محمد اليقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 344.

[4]– المصدر نفسه، ص 344.

[5]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص 394.

[6]– أبو بحر بن إدريس المرسي، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1939، ص25.

[7]– شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار الحياة، بيروت، 1983، ص 72.

[8]– محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة 733هـ–755هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص 19.

ويذكر القلقشندي أنّ أصل بني الأحمر من أرجونة[2] من قرطبة ويعرفون ببني نصير[3]، أوّل ملوكهم ومؤسس دولتهم هو محمد بن يوسف بن نصير بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، اشتهر بالفضيلة والجرأة وقوة العزيمة، كما كان رجلا شديد المراس، ذا خلق وكفاية نادرة حتى لقب بالشيخ اعترافا له بالزعامة في بني نصير[4].

2 – قيام الدولة النصرية:

لما ضعف أمر الموحدين في الأندلس واشتدّ ضغط النصارى على المسلمين فكّر عدد من الزعماء بجمع من المدن الأندلسية المتنافرة في دولة واحدة تستطيع الوقوف في وجه النصارى، فاستطاع المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي أن يضمّ عدّة مدن كبرى لدولته ومنها قرطبة[5]، إلاّ أن ابن هود كان متسرعا، فقد الكثير من المدن لصالح النصارى[6]، فرأى ابن الأحمر أنّ الفرصة مواتية للاستيلاء على الأنحاء الوسطى من ال،دلس، فدخلت عدة مدن تحت إمرته[7]، ولإخضاع الموانئ الجنوبية، طلب ابن الأحمر معونة الأمير الحفصي أبو زكريا، فأجابه لذلك، فدانت له قرمونة وقرطبة وإشبيلية وذلك لفترة محدودة.

---

[1]– إسماعيل بن الأحمر، نثير فرائد الجمان فيمن نظمني وإياه الزمان، دراسة وتحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1967، ص 13–14.

[2]– أرجونة مدينة أو قلعة بالأندلس، ينسب إليها محمد بن يوسف الأحمر الأجواني، ينظر محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 26.

[3]– أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص 260.

[4]– المقري، نفح الطيب، ص 199.

[5]– قرطبة، قاعدة الأندلس وأمّ مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وهي خمس مدن يتلو بعضها بعضا، وبين كل مدينة سور، وفي كلّ مدينة ما تحتاج من أسواق وحمامات وفنادق، وطولها من غربها إلى شرقها 3 أميال وعرضها ميل واحد، الحميري، صفة جزيرة الأندلس جزء من كتاب الروضة المعطار في جر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 356.

[6]– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 313.

[7]– لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003، ص 16.

ولكن بوفاة محمد بن هود في ألمرية سنة 635هـ/ 1237م[1] اندلعت الثورة في غرناطة، انتهت بمقتل واليها عتبة بن يحيى المغيلي[2]، فزال أكبر منافس لابن الأحمر، ودخلت غرناطة في طاعته أواخر رمضان سنة 635هـ وأصبحت حاضرة مملكة بني الأحمر وانضمت إليها مناطق أخرى من جنوب وشرق الأندلس[3].

وبهذا تكونت مملكة غرناطة ودولة بني نصر أو بني الأحمر، عمل من خلالها ابن الأحمر على جعل مملكته وريثة الأندلس الكبرى في علومها وفنونها وجماليتها[4] هذا، وقد تعاقب على مملكة غرناطة سبعة عشر أميرا حسب ما تذكر المصادر التاريخية في ظلّ الملكية الوراثية[5].

---

[1]- المصدر السابق، ص 305.

[2]- عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91هـ، 897هـ/ 710م-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص 279.

[3]- علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2001، ص54.

[4]- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص 221.

[5]- لسان الدين الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 18.

الفصل الاول

تعتبر تلمسان المركز الرئيسي للمغرب الأوسط ومنارة علمية امتدّ شعاعها غلى بقاع كثيرة، حيث شهدت ازدهارا كبيرا في المجال العلمي والثقافي، وهي نفس حالة غرناطة في هذه الفترة، رغم تدهور الأوضاع السياسية لها، وقد ساهمت عدة عوامل في إثراء الجانب الثقافي وازدهار الحركة العلمية والثقافية بصفة عامة.

1 – تشجيع السلاطين للحياة الثقافية:

لقد عمل سلاطين تلمسان وغرناطة على تشجيع الجانب الثقافي، فعملوا على تقريب العلماء والأدباء والفنانين من مجالسهم وإغداقهم بالأموال وإنزالهم أحسن المراتب[1].

كما حرص السلاطين على بناء المدارس وجلب مشاهير العلماء للتدريس بها، ومن ذلك ما فعله يغمراسن بن زيان مع أبي إسحاق بن يخلف التنسي▲، حيث استقبله بحفاوة وطلبمنه البقاء بتلمسان[2]، كما أكرم وفادة أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود الخطيب، أبرع أهل زمانه في الأدب والشعر والخطابة[3].

كما عمل خلفاء يغمراسن بن زيان على تشجيع العلوم المختلفة، ومن بينهم أبو سعيد عثمان الذي قرب العلماء ومن بينهم ابن خميس الذي عينه في بلاده كاتبا[4] وأبو حمو موسى الأول الذي بنى مدرسة ابني الإمام▲ احتفالا بقدوم ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى فكان يكثر من مجالستهما[5].

---

[1]– يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216.

▲– توفي سنة 680هـ/ 1281م، ولد ونشأ بتنس، جاب أقطار المغرب والمشرق وطلبا للعلم كما درس بتلمسان وبها استقرّ إلى غاية وفاته، انظر أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 38، ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 67.

[2]– التنسي، المصدر السابق، ص 126.

[3]– نفسه، ص 127.

[4]– يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 208.

▲– من أهل برشك، وفدا على ابي حمو الأول فأوكل لهما مهمّة الفتوى والتدريس، ينظر إلى التنبكتي، المصدر السابق، ص245، ابن مريم، المصدر السابق، ص123.

[5]– التنسي، نظم الدر والعقبان، المصدر السابق، ص 189.

وواصل أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718-737هـ/1318-1337م) سياسة من سبقوه من حكام الدولة الزيانية في المجال العلمي، فبنى المدرسة التاشفينية، وقرب ابني الإمام الذين بقيا يترددان عليه لمدة سنتين قبل ارتحالهما إلى المشرق[1]، كما وفد عليه أبو موسى عمران المشدالي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام مالك، فأكرمه وولاّه التدريس بالمدرسة التاشفينية[2].

كما تميّز بعض سلاطين بني عبد الواد بأنّهم علماء وأدباء، ولعلّ أهمّ هؤلاء أبو حمو موسى الثاني، الذي كان أديبا بارعا، ساهم في النشاط الأدبي والفكري، حيث ألف كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، تميّز أبو حمو باعتنائه بالعلم وأهله، فحظي العلماء في عهده بعطف وتشجيع كبيرين، وصارت تلمسان من أهمّ مراكز الإشعاع الثقافي[3].

لم يختلف الأمر بالنسبة لسلاطين دولة بني الأحمر، الذين كانوا شديدي الاهتمام بهذا الجانب، كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن يوسف بن نصر (توفي 671هـ) ومحمد الثاني المعروف بالفقيه (توفي 701هـ) والطي عرف بسعة فقهه وخصاله الفاضلة، بالإضافة إلى العلم ونظم الشّعر وإيثار مجالس الأدباء والفقهاء[4]، وكان حال ابنه حال من سبقه من الملوك، فكان أبو عبد الله محمد بن محمد (701هـ-708هـ) ميالا للمجالس العلمية والعلماء[5].

هذه عينة عن دور سلاطين المغرب والأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين في مجال تشجيع الحياة الثقافية والعلمية.

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 123.

[2]- التنسي، نظم الدرر والعقيان، المصدر السابق، ص 141-142.

[3]- المصدر نفسه، ص 161، أنظر كذلك، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 159-160.

[4]- ابن الخطيب، الإطاحة في أخبار غرناطة، ج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974، ص 557.

[5]- محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة 733هـ- 755هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص 30.

2 – دور المؤسسات التعليمية:

انتشرت بتلمسان العديد من المؤسسات التعليمية، كان لها دور فعال في النشاط الثقافي والعلمي أهمها:

2-1. المساجد والكتاتيب:

تعدّ الكتاتيب من أوّل المعاهد التي عرفها العالم الإسلامي، حيث لعبت دورا هاما في التعليم، والكتاتيب جمع كُتّاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، والكُتاب موضع تعليم الكتابة[1].

وترجع البدايات الأولى لإنشاء الكتاتيب القرآنية إلى العهود الأولى من تاريخ الإسلام، فبعد أن فرغ المسلمون من فتح المغرب، أعطوا الأولوية لنشر الإسلام وتحفيظ القرآن، وهذا ما جعل الكتاتيب تنتشر بشكل مطرد حتى عمّت أرجاء المغرب، وهذا نتيجة لدعم السلاطين والملوك لها، ومن بداية القرن الثامن الهجري، بلغت الكتاتيب القرآنية أوجها من حيث التنظيم والتسيير وطبيعة المواد المدروسة[2]، وفي مقدمتها تحفيظ القرآن لأهميته وأحكام التنزيل وأحيانا أخرى يقوم المعلّم بتفسير الآيات[3].

وإضافة إلى تحفيظ القرآن، كان الصبيان يتعلّمون الكتابة والقراءة والنحو والإعراب والشعر[4].

وبالإضافة إلى الكتاتيب نجد المساجد، والتي لعبت دورا هاما في الحياة الثقافية في تلمسان وغرناطة، حيث أنّها نافست المدارس والزوايا، حيث ساعدت العلماء على إلقاء دروسهم فيها، فتزاحم الطّلبة على العلماء المشهورين، كما عرفت جلسات العلم والمعرفة حضور السلاطين، ولعلّ أهمّ هذه المساجد المسجد الأعظم بتلمسان الذي أسّسه يوسف بن تاشفين سنة 473هـ والذي كان له دور ثقافي كبير.

---

[1]- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 92.

[2]- محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1263م-1337م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2008-2009، ص125.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 37.

[4]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 92.

وأصبح معدّا للتّدريس منذ أن استقدم يغمراسن إليه الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم التنسي لعقد المجالس العلمية به[1].

ومسجد أبي الحسن التنسي الذي أسّسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان (681هـ-703هـ/ 1282م-1303م)، وأخذ اسم أحد أعلام الفقه وهو الشيخ أبو الحسن التنسي الذي درس بهذا الجامع[2].

وبالإضافة إلى ما سبق من المساجد، فقد عرفت تلمسان بمساجد أخرى كمسجد سيدي إبراهيم المصمودي الذي أسّسه أبو حمو الثاني إلى جانب المدرسة والزاوية، وقد اندثرت المدرسة وبقي الجامع[3]، ومسجد أبي مدين بالعبّاد ومسجد سيدي الحلوي الذي أسّسه السلطان المريني أبو عنان سنة 754هـ.

أمّا بالأندلس، فقد لعب المسجد دورا هاما في الحياة العلمية، حيث كان الأندلسيون يدرسون في المساجد، ولعلّ أهمّها الجامع بقرطبة الذي بدأ بناه عبد الرحمن الداخل وأتمّه ابنه هشام، وعرف عدة زيادات مع مرور الزّمن[4]، ومسجد غرناطة الذي بناه محمد بن نصر ثاني بني سلاطين نصر، وهذا المسجد من أعظم مساجد الأندلس وكان المركز الرئيسي الذي تدور حوله الحياة العلمية، حيث كان الطّلبة يتوافدون عليه بكثرة[5].

2-2. المدارس:

تعدّ المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية في العالم الإسلامي، أوّل مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البيهقية والمدرسة النظامية ببغداد والتي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك سنة 457هـ[6].

---

[1]- المرجع السابق، ص 90.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 124.

[3]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 119.

[4]- محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص20.

[5]- الطوخي، المرجع السابق، ص 57.

[6]- محمد حسين شندب، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن 5 الهجري، ط1، دار النفائس، بيروت، 1984، ص 56-59.

أمّا في بلاد المغرب، فقد أسّست مدرسة في سبتة في سنة 635هـ/1237م[1]، لتتوالى تأسيس بالمغربين الأقصى والأدنى، كالمدرسة السماعية والتوفيقية بتونس ومدرسة الصفارين بفاس.

أمّا بالمغرب الأوسط، فقد ظهرت المدارس بصفة متأخّرة مقارنة بإفريقية والمغرب الأقصى، حيث لم تظهر إلاّ مع بداية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وقد انتشرت بتلمسان المدارس التالية:؛

أ – مدرسة ابني الإمام:

هي أوّل مدرسة بنيت بتلمسان، أسّسها السلطان أبو حمو موسى الأول▲ (707-718هـ/1308-1318م)، سنة 710هـ[2] تكريما للعالمين الشهير ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى، فصارت تعرف باسمها[3].

ب – المدرسة التاشفينية:

بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأوّل▲ جنوب الجامع الكبير في ما بين سنة 717هـ و728هـ/ 1316م- 1327م، وذلك لأنّ مدرسة ابني الإمام أصبحت تغصّ بالطلبة المتهافتين على العلم والمعرفة، وتكريما للفقيه أبي موسى عمران المشدالي[4].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص325.

▲- هو أبو حمو موسى الأول، ولد سنة 665هـ، بويع يوم الأحد 21 شوال سنة 707هـ وهو رابع ملوك الدولة الزيانية، قتله ابنه أبو تاشفين في جمادى الثانية عام 718هـ، أنظر ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق وتقديم: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص71.

[2]- المرجع نفسه، ص 71.

[3]- التنسي، تاريخ...، المصدر السابق، ص 139.

▲- هو أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول، خامس ملوك بني عبد الواد، ولد سنة 692هـ، بويع يوم الخميس 23 جمادى الأولى سنة 718هـ بالملعب خارج باب كشوط، توفي سنة 737هـ، أنظر يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 215.

[4]- محمود بوعياد/ جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/ 15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 82.

تعتبر هذه المدرسة تحفة فنية رائعة، فقد تفنّن السلطان عبد الرحيم في تشييدها حتى غدت من أعظم المباني، اشتملت على بنايات كثيرة حيث جلب لها أبو تاشفين فنانين ومهندسين من ذوي الخبرة والكفاءة والمهارة الراقية في الزخرفة والتّزيين والبناء[1].

درس بها العديد من العلماء الذين ذاع صيتهم في المغرب الإسلامي ومن بينهم بعض المرازقة والعقابنة وأحمد بن زكري والتنسي، ولقد عمرت هذه المدرسة خمسة قرون إلى غاية إزالتها من طرف الاحتلال الفرنسي سنة 1875م[2].

لم يبق من هذه المدرسة سوى بعض الزخارف من الزليج وهي موجودة بمتحف تلمسان ومتحف كولوني بباريس[3].

ج – المدرسة اليعقوبية:

شيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني، بدأ بناؤها سنة 763هـ/ 1361م تخليدا لذكرى والد السلطان، استغرق بناؤها حوالي سنة ونصف السنة، قام بتدشينها في الخامس من صفر سنة 765هـ[4]، وقد أوكل للعالم الشيخ الشريف الحسني التلمساني▲ بالتدريس فيها، وصفها أحد المؤرخين قائلا: "...فأقيمت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالأصبغة مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم...غرس بإزائها بساتين يكتنفها[5]...، تقع بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم

---

[1]– مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة تلمسان، 2005–2006، ص83.

[2]– المرجع نفسه، ص 84.

[3]– رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، ترجمة محمد بلقراد، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص498.

[4]– التنسي، تاريخ دولة بني زيان، المصدر السابق، ص 179.

▲– أبو عبد الله بن أحمد الشريف التلمساني الحسني من كبار علماء المغرب، أخذ عن انبي الإمام والقاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي وأبي عمران المشدالي والآبلي، حظي بمكانة عالية عند أبي حمو موسى الثاني، أنظر التنبكتي، المصدر السابق، ص 431، التنسي، تاريخ دولة بني زيان، المصدر السابق، ص 179.

[5]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص 182.

المصمودي والمقبرة الزيانية التي تضمّ ضريح أبي يعقوب والد السلطان وأعمامه، أبو سعيد عثمان وأبي ثابت"[1].

هذه مجمل المدارس التي بناها الزيانيون بتلمسان، والتي عرفت كذلك بناء مدارس مرينية كمدرسة أبي مدين بالعباد ومدرسة سيدي الحلوي، والتي تخرج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أثروا في الحياة الثقافية في بلاد المغرب الأوسط.

د – مدرسة أبي مدين▲ بالعباد:

شيد هذه المدرسة أبو الحسن المريني* عندما استولى على مدينة تلمسان والمغرب الأوسط سنة 737هـ/ 1337م، وكان تشييدها سنة 747هـ/ 1347م بقرية العباد▲ ثماني سنوات بعد تأسيس المسجد سنة 739هـ/ 1338م[2]، تقع هذه المدرسة غرب الجامع مباشرة فوق هضبة صغيرة، وقد اشتهرت بفنها المعماري وزخرفتها المتميّزة[3].

هـ– مدرسة سيدي الحلوي:

بعد استيلاء السلطان المريني أبي عنان على تلمسان سنة 754هـ/ 1354م، أوعز ببناء هذه المدرسة بالقرب من الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقّب

---

[1]– صالح بن قرية وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نزفمبر 1954، 2007، ص150.

▲– هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري والأندلسي، ولد بإشبيلية سنة 510هـ، يعتبر من كبار مشايخ المتصوفة والعلماء، توفي بتلمسان سنة 594هـ/ 1197م ودفن بالعباد ولمزيد من المعلومات أنظر حسين فارسي، أبو مدين شعيب حياته وأدبه، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 19–25.

*– ولد سنة 675هـ، عقد له الخلافة سنة 710هـ بنازي، أنظر محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بغيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 117.

▲– العباد مدينة صغيرة تشبه الروضة، تقع في الجبل على نحو ميلين من تلمسان وهي كثيرة الأزهار، وفيرة السكان والصناع، بها دفن أبو مدين شعيب، أنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد أخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص24.

[2]– ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 406.

[3]– لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 128.

بالحلوي*، إلاّ أنّ هذه المدرسة لم تكن ذات شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس الأخرى التي عاصرتها بتلمسان[1].

هذا فيما يخصّ مدارس تلمسان، أمّا مدارس دولة بني نصير، فلم يذكر الكثير عنها باستثناء بعضها، ولعلّ أهمها:

أ – المدرسة النصرية:

أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف على يد حاجبه أبي النعيم رضوان عام 750هـ/1349م، كانت تقع على درب ضيق محاذ لشارع الكاثوليكيين[2]، وقد قام بالتدريس في هذه المدرسة نخبة من علماء الأندلس وغيرهما من الأقاليم المجاورة منهم ابن الفخر الخولاني، وعرفت هذه المدرسة شهرة كبيرة، درس بها العديد من العلوم كالأصول والفرائض والطبّ والمواد الرياضية، أزيلت هذه المدرسة مع بداية القرن الثامن عشر ميلادي، ولم يتبقّ من المبنى إلاّ قاعة الصلاة التي رمّمها المهندس الإسباني كونتيرا، كما عثر على لوحة رخامية نقش عليها تاريخ بناء المدرسة.

درس بالمدرسة اليوسفية والتي أطلق عليها كذلك اسم المدرسة العلمية أو النصرية القرآن الكريم وموطأ الإمام مالك واللغة والأدب، معتمدين على كتاب سيبويه وكتاب الأغاني للأصفهاني وآثار الجاحظ وغيرهما[3].

2-3. الزوايا:

لعبت الزوايا دورا لا يقلّ أهمية عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى في عهد الدولة الزيانية ودولة بني الأحمر، وهي في حدّ ذاتها مدرسة دينية، تقام بها الصلوات الخمس بالإضافة إلى الدّروس التي كانت تعطى للطّلبة والمريدين[4] ومكانا لإيواء عابري السبيل

---

*– هو الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي، أندلسي الأصل، كان قاضيا بإشبيلية ولما كانت الأوضاع مضطربة، هاجر إلى تلمسان واستقرّ بها، عرف بالحلوي لأنّه كان يوزع الحلوى على الأطفال، ابن مريم، المصدر السابق، ص 68-70.

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

[2]– لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 202.

[3]– يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993، ص134-136.

[4]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص148.

وإطعام المحتاجين، وفي هذا المجال يقول ابن مرزوق: "إنّ الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين وتطعم المسافرين"[1].

[1]- ابن مرزوق، المرجع السابق، ص 411.

2-4. المكتبات:

اعتنى ملوك الدولة الزيانية بإنشاء المكتبات العامة وتزويدها بالكتب اللازمة لإقامة النشاط العلمي والتعليمي، كما ظهرت أسواق الكتب والمكتبات الخاصّة التي تزخر بكثير من المعارف والفنون[1]، ومن أهمّ هذه المكتبات:

- المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني بالجامع الأعظم قرب المحراب القبلي بالمكان الذي لا تزال فيه الخشبة ذات الكتابة المنقوشة فوق بابها وكتب عليها: "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين لله أمره وأعزّ نصره ونفعه بما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى..." الخميس الثالث عشر ذي القعدة عام تسعمائة وستون[2].
- المكتبة التي أنشأها أبو زيان محمد الثاني بالقرب من الجامع الأعظم سنة 796هـ/1394م، احتوت على مخطوطات كالقرآن الكريم وصحيح البخاري ونسخ من كتاب الشفا للقاضي عياض، نسخها أبو زيان بنفسه[3].

لم يقتصر الأمر على المكتبات العامّة، بل وجدت مكتبات خاصة، التي كان يملكها العلماء في بيوتهم، خاصة لدى بيوت العلم المشهورة بتلمسان، واشتهر الشيخ محمد السنوسي بنسخ الكتب حيث نسخ ثلاثين كتابا بيده[4].

3 – الرحلة في طلب العلم:

---

[1]– كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996، ص 122.

[2]– محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 24.

[3]– التنسي، نظم الدرر والعقيان، المصدر السابق، ص 211.

[4]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

حرص أهل العلم على الترحال لطلب العلم وتمتين العلاقات مع أهل المغرب والمشرق والأندلس، إذ تضاعف الاتصال عن طريق النشاط الدّبلوماسي وتبادل الرسائل الإخوانية، وعن طريق الرحلة غلى الحجّ وبيت المقدس.

وفي هذا الصّدد، فقد تنقّل طلبة العلم إلى العديد من البلدان لطلب العلم واكتساب الفوائد بلقاء كبار المشايخ ومباشرة التلقي من أفواه العلماء[1]، فقد التقى علماء الأندلس وتلمسان فيما بينهم العديد من المرات، ووقعت بينهم وبين غيرهم من العلماء العديد من الاتصالات، خاصة بعد انتقالهم إلى العديد من المناطق كتونس ومصر وبغداد وفاس بدافع الحصول على المزيد من التّحصيل على يد شيوخ الزيتونة وعلماء القيروان وجامع الأزهر بالقاهرة[2].

فكان التّأثير واضحا والتّبادل الثقافي جليا بين علماء تلمسان وغرناطة من جهة، وعلماء المشرق والمغرب من جهة أخرى، نتج عنه تكوين نخبة من العلماء الذين تميّزوا بغزارة العلم ووفرة التّحصيل في شتى العلوم، والذين قاموا بنقلها إلى أوطانهم وتلقينها لأبنائهم، ممّا ساعد على ازدهار الحياة الثقافية والفكرية، ومن المؤلفات والمختصرات المشرقية التي وردت إلى حواضر بلاد المغرب وعواصمه لتدريسها نذكر: مختصر ابن الحاجب في الأصول والفروع، الذي جاء به المشدالي إلى بجاية، وبدأ في تدريسه لطلابه[3].

4 – ازدهار فن الوراقة:

عرف العرب الورق عن طريق اتصالهم بالصينيين، الذين كانوا قد اكتشفوه نهاية القرن الأوّل الميلادي، وبعد الفتح العربي لآسيا الوسطى انتشر استخدام الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وظهرت فئة خاصة اشتغلت في ميدان الميدان، أيّ بشؤون الكتاب من نسخ وتجليد وتجارة ساهمت في إنتاج الكتب على نطاق واسع وسدت حاجيات العلماء وطلاب العلم وحاجات الدولة المختلفة[4].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

[2]– حادي شافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 30.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 328.

[4]– حامدي الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 31.

وقد ازدهر فن الوراقة في تلمسان في عهد دولة بني زيان، فظهرت نسخ الكتب الدينية المشرقية والمغربية والمصاحف والمؤلفات المحلية، ومختلف الكتب العلمية والأدبية وفنّ الرسائل الديوانية.

هذه المؤلفات ملئت بها القصور والخزائن، وتنافس الناس في اقتنائها ونسخها[1]، وقد تنافس الفقهاء والخطاطون والطلبة الزيانيون على نسخ المصاحف والكتب وتحبيسها على المدارس والمساجد والزوايا، وقد برز منهم ابن مرزوق الخطيب الذي كان له محل نسخ فيه المصاحف، والأديب الوادي آشي الأندلسي الذي نسخ بخط يده نحو مائة كتاب وكذلك الشيخ السنوسي الذي كتب نحو ثلاثين كتابا بيده[2].

أمّا في الأندلس، كانت المكتبات هي الوعاء الأساسي للاغتراف من العلوم وقد حظيت باهتمام الدول المتعاقبة، فتسابق رجال العلم والسلطة إلى اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، ومن ذلك أنّ الحكم الثاني بن عبد الرحمن أقام مكتبة بها أربعمائة ألف كتاب، وكان في قرطبة 37 مكتبة عامّة ودكاكين للوراقين لا حصر لها[3].

وتواصل وضع الكتاب في الأندلس ما كان عليه في عهد الدولة الأموية إلى غاية دولة بني الأحمر التي نزح إليها الأندلسيون وما معهم من كتب وعلوم ومواهب.

وبعد سقوط غرناطة، أمر بحرق الكتب والتي يختلف فيها المؤرخون حول عددها بين مليون ونصف المليون نسخة و80 ألف نسخة[4].

ورغم هذا الاختلاف فإنّ الأرقام المذكورة سابقا ذات دلالة واضحة في أنّ الأندلسيين اهتموا بالكتب من نسخ وتأليف، وهو ما كان له الأثر الكبير في الحياة العلمية.

5 – انتشار التعليم:

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 336.

[2]– المرجع نفسه، ص 338–339.

[3]– حامدي الشافعي دياب، المرجع السابق، ص 32.

[4]– المرجع نفسه، ص 32.

يعدّ التعليم من العوامل الأساسية والهامّة التي تدفع عجلة الحركة الفكرية نحو التقدم والازدهار، فهو يساهم في ترقية العلوم والآداب ونشر الثقافة والعلم بين أفراد المجتمع وتهذيب سلوكهم وتحسين أخلاقهم[1].

كان التعليم منشرا في شتى المدن والقرى، وكان ينحصر في مرحلة أولى في تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القر'ن، وذلك في الكتاتيب والزوايا والمساجد، وفي مرحلة ثانية، كان يدرس الطلبة النحو واللغة والفقه والأدب، فينالون بضاعة وافرة، تمكّنهم من بلوغ مستوى لائق، ومعرفة دينهم والإلمام بالعلوم الدينية، ثمّ كان الذين يريدون التخصص في العلم ينتقلون إلى المرحلة الأخيرة، فيطرقون العلوم الدينية- من قراءات وتفسير وحديث وفقه- وعلوم عقلية وأدب وغيرها بمزيد من التعمّق والتفصيل[2].

وتميّز التعليم بالمغرب الأوسط بمرحلتين:

- **مرحلة التعليم الابتدائي:**

غايتها تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة والخط، وكانت تتمّ مزاولة هذا التعليم في الكتاتيب، حيث أنّ الصبيان يدخلونها في سنّ معيّنة تتراوح بين سنّ الخامسة والسابعة، ويكون المؤدّب حريصا كلّ الحرص على تحفيظ هؤلاء القرآن والتلاوة الحسنة.

- **مرحلة التعليم الثانوي:**

تلي المرحلة الأولى، فبعد أن يكون التلميذ قد أتى على حفظ القرآن ونال حظّه من مبادئ الكتابة والقراءة، يختار فيها الطلاب المواد التي يريدون دراستها، كانت تقام هذه الدروس بالمساجد والمدارس[3] ينكبّ من خلالها الطلبة على دراسة مختلف التخصصات العلمية، كان يقوم بتدريس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة متخصّصون ومشهود لهم بالتفوّق في مختلف المواد العلمية سواء النقلية[4].

6 – الموروث الثقافي لتلمسان وغرناطة:

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص338.

[2]– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص 35.

[3]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 347.

[4]– عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في الجزائر في عهد المرابطين والموحدين، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 339-340.

تعتبر مدينتي تلمسان وغرناطة من بين أهمّ مراكز الإشعاع الثقافي خلال العهد الإسلامي، فتلمسان تمثّل إحدى أهمّ العواصم التاريخية والحضارية في المغرب الإسلامي، وقد حافظت على حضارتها وثقافتها منذ الفتح الإسلامي.

وفي عهد المرابطين، تأسّست مدينة تلمسان الجديدة، تاجرارت وهي المحلة، وعرفت الحركة الفكرية بها نشاطا في هذه الفترة، فأصبحت تلمسان مقرّا للمرابطين بالمغرب الأوسط، فشيّدوا الجامع الأعظم وقصور المشور، وكثر اهتمام علماء المغرب بالفقه في عهد المرابطين بالإضافة إلى اشتغالهم بالعلوم اللسانية والاجتماعية، وقد وفد إليها العديد من العلماء من الأندلس وإفريقية.

وعقب استيلاء الموحدين على تلمسان سنة 534هـ/1139م، عملوا على ازدهارها فبنوا المنازل والقصور[1]، وشجّعوا الأدب وكانوا هم أنفسهم أدباء، فكانت مجالسهم مجلس علم وأدب وسياسة[2]، وازدادت صلاتهم الثقافية بمختلف الأقطار الإسلامية الأخرى، ممّا ساعد على انتشار العلم بالمغرب الأوسط، فنبع فيه كثير من العلماء، وبصورة عامّة، يمكن القول أنّ الحياة الفكرية بتلمسان في عهد الموحدين عرفت تقدّما في مجال الحياة الدينية التي احتلّت الصدارة.

وكذلك حظيت العلوم اللسانية بالعناية خاصة أنّ أغلب الخلفاء الموحدين كان لهم نصيب وافر من العلم وكانوا يرحّبون بالعلماء والشعراء والكتاب[3].

لقد كان لهذه الوفرة العلمية في عهد دولتي المرابطين والموحدين أثر كبير لا محالة في ازدهار النشاط الثقافي والعلمي في دول المغرب الإسلامي التي حلت محل الدولة الموحدية المنهارة.

وهذا الأمر ينطبق على غرناطة التي احتلّت مكانة كبيرة في الحياة الثقافية، والتي تعتبر قريبة للأندلس (تسمّى الأندلس الصغرى)، حيث نزح إليها الأندلسيون من مختلف

---

[1]- محمد عمرو الطمار، تلمسان...، المرجع السابق، ص 69.

[2]- المرجع نفسه، ص 71.

[3]- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد المرابطين الموحدين، ص 94.

المدن الأندلسية ومعهم مختلف المظاهر الحضارية والعلمية، وكان هذا عاملا في ازدهار العلوم العقلية والنقلية بمدينة غرناطة.

الفصل الثاني

شهدت الفترة الممتدّة من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري، انتشار الكثير من العلوم التي كان يتمّ تدريسها وتعلمها في مختلف نواحي المغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب الأوسط وحاضرته تلمسان والأندلس وحاضرته غرناطة[1].

ويقسم ابن خلدون هذه العلوم المدروسة إلى علوم نقلية يعرفها بأنها "العلوم الوضعية والمستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، لا مجال للعقل فيها إلاّ في إلحاق الفروع بالأصول"[2]، وعلوم عقلية وهي حسب ابن خلدون العلوم التي يستوي فيها النظر بين المسلمين وغيرهم، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وبراهينها، حتى يقف نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها وهي العلوم الحكمية والفلسفية[3].

1 – أصناف العلوم ومشاهير العلماء بتلمسان:

1-1- العلوم الدينية:

عرفت الحياة الثقافية ازدهارا كبيرا في تلمسان، وقد احتلت العلوم الدينية من علوم القرآن والحديث الشريف والفقه والتصوف الصدارة في ذلك.

أ – علوم القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزّل على نبيّه، وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد اختصّ القرآن بعلوم أهمها:

* **علم التفسير:**

هو النّظر في كتاب الله وبيان ألفاظه، ثمّ إسناد نقله وروايته إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الشرق الأوسط، بيروت، 2004، ص 397.

[2]– المصدر نفسه، ص 397.

[3]– المصدر نفسه، ص 396.

[4]– المصدر نفسه ، ص 399–400.

* **علم القراءات:**

ويتضمن معرفة القراءات المشهورة وفنّ رسم الحروف ومقاصده وفنّ رسم الحروف ومقاصد الآيات وأسباب النزول[1].

ب – علوم الحديث:

علوم الحديث كثيرة ومتنوعة ويراد بها حفظ ما نقل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وما نقل عن أصحابه[2]، ويتضمّن علم الحديث النظر في الأسانيد أي الرواة والناسخ والمنسوخ[3].

ج– الفقه:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها[4]، ويتناول الفقه جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته، فيبحث في جوانب الدين والأحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية، مرتكزا على مصادر التشريع الإسلامي وهي القرآن الكريم والسنّة النبوية والقياس.

د – أصول الفقه:

يعرفه ابن خلدون بقوله: "..اعلم أنّ أصول الفقه من أعظم العلوم وأجلها وأكثر فائدة وهو النّظر في الأدلّة الشرعية من حيث تؤخذ الأحكام وتآليف، وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب والسنة المبينة له..."[5].

هـ– علم الفرائض:

هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة[1].

---

[1]– المصدرالسابق ، ص 398.

[2]– عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 483.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 401.

[4]– المصدر نفسه، ص 405.

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص412.

و – علم التصوف:

يقصد به العبادة والزهد عن الدنيا و التحكم في النفس ويعرفه ابن خلدون قائلا: "...هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلمّا فشا الإقبال على الدنيا... اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[2]، وهو علم من العلوم الجديدة في المجال الشرعي.

لقد لقيت هذه العلوم الدينية إقبالا كبيرا من أهل تلمسان نبغ فيها العديد من العلماء وفي هذا المجال نذكر:

- **أبو موسى عمران المشدالي:**

أصله من بجاية ولد سنة 670هـ/1271م، اشتهر بغزارة علمه، برز في الحديث والفقه والنحو والفرائض، ارتحل إلى تلمسان وتولى التّدريس بالمدرسة التاشفينية، أخذ عنه الكثير من العلماء كأبي عبد الله الشريف التلمساني وسعيد العقباني، توفي سنة 745هـ[3].

- **الشريف التلمساني:**

عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني، من كبار علماء تلمسان، ولد سنة 748هـ/1347م، درس بتلمسان على يد كبار مشايخها، برز في عدد من العلوم أهمّها التفسير، توفي سنة 792هـ/1390م غريقا وهو عائد من غرناطة[4].

- **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:**

أصله من تنس، حلّ بتلمسان واستقرّ بها بعد إلحاح من السلطان يغمراسن بن زيان، قام بتدريس الحديث وغيره من العلوم بتلمسان، وكانت ترده الأسئلة من تلمسان وغيرها من المدن، له كتاب يشرح فيه كتاب "التّلقين لأبي محمد عبد الوهاب"[5].

---

[1]– المصدر السابق ، ص411.

[2]– المصدر نفسه، ص 437.

[3]– التنسي، نظم الدر والعقيان، المصدر السابق، ص141.

[4]– أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1324هـ/1906م، ص 236–239.

[5]– التنبكتي، المصدر السابق، ص38.

كان لهذا العالم هيبة وسمعة مرموقة، قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب: "ما صافحني أحد قطّ، إلاّ شعرت بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلاّ الفقيه أبا إسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة، فكانت يدي ترتعش من هيبته"[1].

- **ابن مرزوق الخطيب:**

هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي[2] المشهور بالخطيب وبالجدّ، ولد بتلمسان سنة 710هـ/1311م، ارتحل إلى كثير من البلدان الإسلامية كمصر وتونس وغرناطة، توفي سنة 781هـ بالقاهرة[3].

ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم منها تعليق على صحيح البخاري، شرح العمدة وكتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن[4].

- **ابني الإمام:**

أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى، نشأ بمدينة برشك حيث كان والدهما إماما بأحد مساجد هذه المدينة، رحلا إلى تونس بعد وفاة والدهما حوالي سنة 700هـ، فدرسا العلوم الدينية حتى نبغا في العلوم الفقهية والدينية، بعد عودتهما قربهما السلطان أبي يعقوب المريني[5]، وبعد انصراف بني مرين عن تلمسان عقب مقتل السلطان، قدما إلى تلمسان ونزلا بها يدرسان في حضرة السلطان أبي حمو موسى الأول، الذي اختصهما بالفتوى وبعد وفاة أبي حمو، قربهما السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن إليه[6]، ليرتحلا بعد ذلك إلى المشرق في حدود سنة 720هـ/1320م والتقيا بعدد من العلماء، ناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه[7]، بعد رجوعهما من المشرق، صارا يعرفان بالإمامة والاجتهاد، فقصدهما طلاب العلم من كل

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص330.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص 391.

[3]- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 396-399، الحفناوي، المصدر السابق، القسم الأول، ص136-138.

[4]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 19.

[5]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص215.

[6]- المصدر نفسه، ص 216.

[7]- المصدر نفسه ، ص 216، ابن مريم، المصدر السابق، ص 123.

حدب وصوب وتخرج على أيديهما أعلام كبار من أمثال الشريف التلمساني والمقري والجدّ وغيرهم[1].

بعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1335م، استدعى إليه شيوخ وفقهاء المدينة، وكان ممّن وفد عليه ابني الإمام، فأكرم مثواهما وأدنى مجلسهما وأشاد بفضلهما وعلمهما واختصهما بالشورى[2]، وقد شهدا معه واقعة طريف سنة 740هـ/1340م▲.

توفي أبو زيد سنة 741هـ/1340م وأبو عيسى سنة 749هـ/1348م، وممّا يؤسف له أنّه لم يبلغنا شيء من مؤلفات الأخوين، إلاّ ما أشار إليه صاحب البستان من شرح أبي زيد على "ابن الحاجب الفرعي"، ويقول ابن فرحون أنّ لهما تصانيف مفيدة، لعلّها ضاعت وسط الإضرابات التي عاشتها بلاد المغرب آنذاك[3].

1-2- العلوم اللسانية:

العلوم اللسانية هي العلوم اللغوية والأدبية والتي تتمثّل في النحو، الصّرف، العروض، البلاغة واللغة والأدب، الغاية من دراستها هو الاستعانة في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتفسيرهما وضبط ألفاظهما وتفهّم أساليبهما[4].

اهتمّ بها العلماء الزيانيون فعرف الأدب▲ شعرا* ونثرا إقبالا كبيرا من قبل أهل تلمسان، ومن أشهر أدباء تلمسان الذين برعوا في النّثر والشعر نذكر:

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو...، المرجع السابق، ص 45.

[2]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص265.

▲- جرت هذه المعركة بين السلطان أبو الحسن المريني والمسيحيين بمدينة طريف بالأندلس، انهزم فيها المسلمون هزيمة منكرة، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص600.

[3]- محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 211.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 537.

▲- الأدب هو الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم...، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص545.

*- هو الكلام الموزون المقفى ومعناه أن تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص557.

- **ابن الخطاب المرسي:**

هو محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي، من أهل مرسية، قرأ العربية والنحو على يد أبي بكر بن محمد المعافري القرشي، ودرس الأدب على يد أبي علي الحسن بن عبد الرحمن الكناني، كما درس الحديث والفقه.

ارتحل إلى غرناطة وعين بها كاتبا للسلطان، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه، إلاّ أنّ الفتن كانت عمّت بمرسية، فغادرها إلى تلمسان واستقرّ بها حيث شغل منصب كاتب بلاط بني زيان، توفي سنة 688هـ/ 1287م[1]، ويورد عبد الحميد حاجيات في كتابه "أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره" سنة وفاة الخطاب بـ636هـ[2].

- **أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني:**

هو محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري، الحجري الرعيني التلمساني، الملقّب بأبي عبد الله والمشهور بابن خميس، ولد بتلمسان سنة 650هـ/1251م[3]، كان ابن خميس من كبار الأدباء والشعراء رغم إهمال المصادر التاريخية لذكر نشأته ومشيخته، نشأ فقيرا، درس على علماء تلمسان العلوم الدينية واللسانية وغيرها، تكاد تكون حياة ابن خميس شبه مجهولة فقد أهملت المصادر التاريخية ذكر شيوخه وبداية حياته حتى جاوز سنّ الثلاثين، وزيادة على ذلك لم ترد إشارة إلى الوظيفة التي تولاها في عهد السّلطان أبي سعيد يغمراسن بن زيان▲، ولا إلى تاريخها بالضبط، لولا الرحالة العبدري* الذي مرّ بتلمسان في طريق رحلته إلى المشرق سنة 688 هـ ولقيه فنوه بشأنه[4].

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص 426-433، التنسي، تاريخ بني زيان، المصدر السابق، ص 128.

[2]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص50.

[3]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص109.

▲- هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، ولد سنة 639، بويع بتلمسان بعد موت أبيه سنة 681هـ، توفي سنة 703هـ، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو...، المرجع السابق، ص 14-15.

*- هو محمد بن علي بن محمد بن مسعود العبدري.

[4]- أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 130.

كان ابن خميس عندما لقيه العبدري تحت مراقبة شديدة من خصومه، وخاصة من قاضي القضاة وابن هدية القرشي.

اتهم ابن خميس بالزندقة والكفر، ومثل أمام محكمة خاصة بمدينة فاس واستطاع الفرار بعد الحكم عليه بالإعدام[1]، فتوجه إلى سبتة يريد التّدريس بها، ثمّ ارتحل إلى غرناطة وذلك في أواخر سنة 703هـ، فأقام في خدمة الوزير ابن الحكيم، وتوفي بها سنة 708هـ، وذلك عندما ثار بعض رجال الدولة على ابن الحكيم فقتلوه، وكان ابن خميس في دار الوزارة فأصابه أحد الثوار بطعنة رمحه فأرداه قتيلا[2].

- **أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري:**

ولد بتلمسان ونشأ بها ودرس على يد أبي عبد الله الشريف، نبغ في فنون الأدب فنظم القصائد التي كان يلقيها في الحفلات الدينية والعديد من المناسبات، كان من جملة كتاب الدولة، أكثر مدح السلطان أبي حمو والإشادة بكرمه[3].

كما برز العديد من الأدباء والشعراء الآخرين من أمثال أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة علي التلاليسي الذي كان طبيبا وشاعرا[4]، وكذلك الشاعر والأديب أبو عبد الله محمد بن البناء المتوفى سنة 608هـ، بالإضافة إلى ما سبق، فقد برز من شعراء تلمسان عفيف الدين التلمساني الصوفي، المتوفى بدمشق سنة 691هـ، وأبو العيش الخزرجي محمد بن عبد الرحيم، وله في التصوف شعر كثير، ومن الشعراء كذلك أبو حمو موسى الزياني وابنه الأمير أبي زيان[5].

1-3- العلوم الاجتماعية:

تنقسم العلوم الاجتماعية إلى قسمين هما التاريخ والجغرافيا:

---

[1]- المرجع السابق ، ص 130-131.

[2]- الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 368/ محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص 241.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، المصدر السابق، ص223/ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص172.

[4]- المر جع نفسه، ص 173، محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص 284.

[5]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص118، محمد عمرو الطمار، تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص255-273.

1 – التاريخ:

يصفه ابن خلدون فيقول: "...التاريخ فنّ عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا والدين..."[1].

انتهج المؤرخون المسلمون الأوائل في كتابة التاريخ أسلوب المحدثين، ثمّ أخذ علم التاريخ يستقلّ مع مرور الزمن بأسلوبه ومنهجه وفلسفته، حتى أصبح علما قائما بذاته، فظهرت كتب السيرة والمغازي، وكتب الأنساب والأمم والتراجم والطبقات والحوليات والخطط، وغيرها من المصنفات ذات الصلة بهذا العلم[2].

في العهد الزياني نبغ في هذا العلم عدة كتاب وعلماء وفقهاء، أبدعوا في تسخير طاقاتهم الفنية والأدبية، ومن أهمّهم:

- **أبو زكريا يحيى بن خلدون:**

هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون[3]، ولد سنة 734هـ بتونس، نشأ بها وتلقى العلم على يد علمائها من أمثال الحافظ السطّي▲، وأبي محمد عبد المهيمن الحضرمي وابن شعيب* والآبلي●.

التحق يحيى بن خلدون ببلاط السلطان أبي عنان المريني الذي قلده كتابة ديوان الإنشاء، وفي أواخر سنة 761هـ، رافق يحيى بن خلدون الأمير أبا عبد الله محمد الذي توجه نحو بجاية، قصد انتزاعها من السلطان أبي إسحاق، ولما تمّ له الأمر، عين يحيى بن خلدون في منصب الحجابة، وبقي في بجاية حتى استيلاء أمير قسنطينة أبو العباس الحفصي عليها في شعبان سنة 767هـ.

---

[1]– المقدمة، المصدر السابق، ص19.

[2]– عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1967، ص66-71.

[3]– ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص3.

▲– هو أبو عبد الله محمد بن محمد الصباغ المكناسي، ولد بفاس، كان متضلعا في الفقه المالكي، توفي سنة 750هـ.

*– عبد المهيمن الحضرمي أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، ولد بسبتة سنة 675هـ.

●– هو أبو العباس أحمد بن شعيب الفاسي، كان طبيبا وكاتبا بالبلاط المريني.

نتيجة لما حدث، توجه عبد الرحمن بن خلدون إلى الجنوب بينما تعرض أخوه يحيى للاعتقال إلاّ أنّه فرّ وتمكّن من الهروب إلى بسكرة، وفي رجب سنة 769هـ التحق ببلاط أبي حمو موسى الثاني حيث عيّنه كاتبا له، وبعد استيلاء المرينيين على تلمسان سنة 772هـ/1370م، التحق يحيى بن خلدون بالبلاط المريني الذي كان يعجّ بالعلماء ومنهم لسان الدين بن الخطيب الذي كان له تأثير كبير على شخصية يحيى بن خلدون[1]، عاد يحيى بن إلى تلمسان بعد أربع سنوات قضاها في فاس، فعيّنه أبو حمو في منصب الكتابة بعد أن قبل اعتذاره[2]، وردا للجميل، قام يحيى بن خلدون بتأليف كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ومكث في بلاط تلمسان إلى أن قتل في رمضان سنة 780هـ بتدبير من الأمير أبي تاشفين▲.

- **<u>عبد الرحمن بن خلدون (732هـ-808هـ/1332م-1406):</u>**

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولد بتونس من أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والرياسة، نشأ بتونس وشبّ فيها وأخذ العلم عن والده وعن بعض المشايخ المشهورين بالزيتونة، هاجر غلى المغرب لمواصلة دراسته، وهناك عمل كاتبا بالقصر المريني، إلاّ أنه اعتقل بتهمة التآمر ضد السلطان أبي عنان، فيقي بالسّجن حتى وفاة السلطان سنة 759هـ، فأطلق سراحه ورُد إلى وظيفته، فتولى كتابة السرّ والإنشاء وخطة المظالم لأبي سالم المريني، إلاّ أنّ هذا لم يدم حيث هاجر إلى الأندلس، فبقي بها سنتين، ثمّ اتجه إلى بجاية حيث تولّى الحجابة، إلاّ أنّ الحال تغيّر، فتوّجه إلى بسكرة حيث التقى بالسلطان أبي حمو في سنة 776هـ، قصد قلعة بني سلامة وعمره 42 سنة، فعزم على تدوين مقدمته التي اشتهر بها في ما بعد، فأتمّها سنة 779هـ[3].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية، المقال السابق، ص 151.

[2]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص39.

▲- يتعلّق الأمر بقضية الأمير أبي زيان على ولاية وهران، وأمام رفض الأمير أبا تشفين الذي كان وليا للعهد، وكان يحيى بن خلدون هو الذي كتب نص التّعيين بمقتضى منصبه، بالإضافة إلى وجود من كان يكنّ الكره ليحيى بن خلدون في بطانة أبا تشفين، ممّا أدى به إلى تدبير قتله، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص49.

[3]- أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 182.

في سنة 784هـ سافر ابن خلدون إلى مصر، فأعجبته القاهرة، فأقام بها يزاول مهنة القضاء، وفي 789هـ، خرج لأداء فريضة الحج، ثمّ عاد إلى مصر حيث أتمّ تأليف العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والذي يعتبر من أهمّ مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، سنة 797هـ، توفي عبد الرحمن بن خلدون بمصر يوم 25 رمضان سنة 808هـ/1406م[1].

كما لا يمكن نسيان أهمّ المؤرخين الذين عاصروا يحيى بن خلدون ولعلّ أهمّهم ابن مرزوق الخطيب صاحب كتاب المسند الصّحيح الحسن في ذكر مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، والذي تضمّن بعض الأحداث التاريخية.

1- 4 العلوم العقلية:

تدعى العلوم الكونية أو علم الفلسفة والحكمة، وتنقسم إلى علوم عددية، علم الفلك وعلم المنطق، وتنقسم بدورها العلوم العددية إلى هندسة وجبر وحساب[2]، بالإضافة إلى الطبّ والكيمياء والتّنجيم، وقد عرفت بعض هذه العلوم ازدهارا كبيرا بتلمسان[3]، اعتمد فيها العلماء على العديد من التآليف ككتاب "القانون" في الطبّ لابن سينا وكتاب "تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء المراكشي[4]، وممّن اشتهر في هذا المجال:

- **الآبلي:**

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي التلمساني، ولد بتلمسان سنة 680هـ/1281م[5]، أصله من آبلة بالأندلس، تتلمذ على يد جدّه، كما أخذ على أبي موسى ابن الإمام وأبي الحسن التنسي[6]، استخدمه يوسف بن يعقوب المريني بعد استيلائه على تلمسان فقبل على مضض، لكن سرعان ما تركها[7]، توجّه لأداء فريضة الحجّ فمرّ

---

[1]- المرجع السابق ، ص 32.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 450-453.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص52.

[4]- المرجع نفسه، ص53.

[5]- المقري، نفح الطيب، ج5، المصدر السابق، ص 244.

[6]- المصدر نفسه ، ص 244.

[7]- التنبكتي، المصدر السابق، ص412.

بمصر والشام حيث التقى بعلماء المشرق كالصفيّ والهندي والتبريزي وابن دقيق العيد وابن الرفعة لكن لم يأخذ عنهم[1].

بعد عودتهم إلى تلمسان، انكب الآبلي على الدراسة، فقرأ المنطق على أبي موسى عيسى بن الإمام وعلوم الفقه والكلام، ثمّ خرج هاربا إلى فاس للتّخلّص من طلب أبي حمو موسى الأول المتمثّل في التصرّف في أعماله وضبط جبايته، فوفد على يهودي يدعى خلوف المغيلي الذي كان متضلعا في مختلف التعاليم[2].

ومناه توجّه إلى مراكش سنة 710هـ/ 1310م، ونزل عند العلامة الإمام أبو العباس أحمد ابن البناء الذي أخذ عنه فنون التعاليم وسائر العلوم العقلية ، ولازمه حتى وفاته سنة 721هـ لتنتقل إلى جبال الهساكرة واستقرّ بها عند علي بن ترروميت، فأقام يدرس بها فأقبل عليه طلاب العلم يجلسون إليه ويأخذون عنه شتّى العلوم[3].

استدعاه أبو الحسن من فاس وألحقه في طبقة العلماء بمجلسه بعد مباركة ابن الإمام له، ومنذ ذلك لازم صحبة السلطان أبي الحسن، أقام الآبلي بتونس فأخذ عنه كلّ من عبد الرحمن بن خلدون سائر العلوم الحكمية والتعليمية وأجازه في المنطق، وأخوه يحيى بن خلدون[4]، توفي بفاس سنة 757هـ[5].

- **<u>أبو عبد الله محمد بن النجار</u>:**

مراكشي الأصل، ولد ونشأ بتلمسان، أخذ عن أبي عبد الله الآبلي، رحل إلى المغرب الأقصى، فدرس على أبي عبد الله محمد بن هلال بسبتة، ثمّ أخذ بمراكش عن أبي العباس ابن البناء، نبغ في العلوم العقلية والتعاليم، ثمّ عاد إلى تلمسان بعلم غزير حتّى صار إمام علوم التّنجيم وأحكامها[6]، طلبه أبو تاشفين لحضرته، ولمّا ملك أبو الحسن تلمسان، التحق

---

[1]- ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص 215/ ابن مريم، المصدر السابق، ص215.

[2]- المصدر نفسه، ص215.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص120.

[4]- ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص34-37.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 215.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 48.

ابن النجار ببلاطه وتوجّه معه إلى إفريقية حيث توفي سنة 749هـ بالطّاعون[1]، من تلامذته أبو عبد الله الشريف، المقري الكبير، وابن الفحام.

[1]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص 236.

- **ابن الفحام:**

تلميذ أبي عبد الله محمد بن النجار، اشتهر بصناعة المنجانة التي ازدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني وأشاد بذكرها شعراء بلاطه، وقد وصفها يحيى بن خلدون في كتابه بغية الرواد.

2 – أصناف العلوم ومشاهير العلماء في غرناطة:

عرفت الأندلس كغيرها من بلدان المغرب الإسلامي، انتشار كلّ من العلوم العقلية والنقلية على حدّ سواء، وبرز فيها العديد من العلماء، فقد أولى الأندلسيون عناية خاصّة بالعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتصوّف، كما اهتموا بالعلوم اللسانية والاجتماعية.

2-1- العلوم الدينية:

- **التفسير:**

من أهمّ العلوم الدينية في الأندلس، ونبغ فيه عدد من العلماء منهم:

- **القرطبي:**

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح القرطبي، من أكابر العلماء الصالحين والزاهدين في الدنيا، له عدّة مؤلفات منها: "تفسير القرآن" في خمسة عشر جزءا و"شرح أسماء الله تعالى" في مجلدين، وكتاب "التذكرة في أمور الآخرة"[1]، توفي سنة 671هـ/ 1273م.

- **أبو حيان الغرناطي:**

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف النفري، ولد سنة 654هـ/ 1257م، درس بالقاهرة وهو نحوي ومفسر له عدة مؤلفات منه "البحر المحيط في التفسير"، توفي سنة 745هـ/1344م[2].

- **أبو بكر الغرناطي:**

---

[1]- المصدر السابق، ص 210-211.

[2]- الطوخي، المصدر السابق، ص 349.

محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي، ولد سنة 760هـ/1271م، كان بارعا في علم القراءات كما تفوّق في علم المنطق وأصول الفقه، له عدّة مؤلفات أهمّها قصيدة "إيضاح المعاني في القراءات الثماني"[1].

علم الحديث:

نبغ في علم الحديث العديد من العلماء، كمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الفخار الجدامي، صاحب "الجواب المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم"، والمتوفى سنة 723هـ[2]، وأبي القاسم الكلبي، محمد بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي المولد سنة 693هـ/ 1294م، قرأ القرآن والفقه والحديث واللغة والأدب، من أهمّ مؤلفاته: "الأنوار السنية في الألفاظ السنية من الأحاديث النبوية"، و"القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و"التنبيه على مذهب الشافعية والحنبلية والحنفية" بالإضافة إلى الإمام المحدث جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بابن مسدي[3]، وعلي بن أحمد بن محمد الغساني مؤلف كتاب "نهج السالك للتفقه في نذهب الإمام مالك، وشرح لكتاب مسلم"[4].

الفقه:

كان المذهب الفقهي المتبع في الأندلس هو المذهب المالكي، غير أن هذا لا ينفي وجود مذاهب أخرى كالمذهب الظاهري، وقد نبغ عديد من العلماء في هذا المجال، من بينهم أحمد بن محمد الغساني المذكور سابقا، وأبو سعيد فرج بن لب صاحب الفتاوى المشهورة، تميز بالذكاء وحسن الخلق، كان مرجعا في الفتوى، عزيز العلم والتفقه، عارفا باللغة ملما بعلم القراءات، ولد سنة 701هـ وتوفي سنة 782هـ[5].

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج6، المصدر السابق، ص 13-15.

[2]- أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص 348-349.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج2، المصدر السابق، ص 112.

[4]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1997، ص 458.

[5]- المقرّي، نفح الطيب، ج5، المصدر السابق، ص 511-513.

كما برز في مجال الفقه ابن فرحون برهان، الفقيه والمؤرخ برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري الأندلسي المالكي المتوفى سنة 799هـ[1].

[1]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، دار الجيل، بيروت، 1993، ص48.

التصوف:

ازدهر بالأندلس، فقد كان للأوضاع السياسية المضطربة التي عاشتها البلاد خلال هذه الفترة أثر في ذلك، فاتخذه الناس كتعزية لهم وسلوة عن الحياة المحيطة بهم[1]، وقد برز منهم:

- **محي الدين بن العربي:**

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، ولد سنة 560هـ/1164م، أخذ عن علماء الأندلس، انتقل من مرسية مسقط رأسه إلى إشبيلية حيث درس الفقه والقرآن والآداب، ارتحل إلى المشرق وفي طريقه نزل بجاية حيث التقى أبا مدين شعيب، أجازه مجموعة من العلماء، زار مصر والحجاز والشام وبغداد، توفي سنة 638هـ بدمشق[2]، ألّف العديد من المؤلفات حتى قيل أنها فاقت أربعمائة كتاب ورسالة، أهمّها "فصوص الحكم"، "الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المُلكية والملكية"[3].

كما تشتهر بالأندلس من المتصوفة "ابن سبعين المرسي"، أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين المكي المرسي الأندلس، تلميذ ابن عربي، ولد سنة 614هـ/1218م، لقّب بقطب الدين، درس ابن سبعين علوم القرآن والحديث والفلسفة وتلقّى الصوفية على يد أبي إسحاق بن دهاق، توفي بمكّة سنة 668هـ، من مؤلفاته: "بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف"، وكتاب "الدرج"[4].

كما نبغ في التصوّف أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى الأنصاري، المولد عام 687هـ/1286م والمتوفى بغرناطة سنة 751هـ/1350م[5]، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المالقي المولود سنة 649هـ/1248م، والمتوفى سنة 754هـ/1353م[6]، بالإضافة

---

[1]- أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص344.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج2، المصدر السابق، ص162.

[3]- المصدر نفسه، ص 376.

[4] المصدر نفسه، ص 386-388.

[5]- أحمد محمد الطوخي، المرجع السابق، ص345.

[6]- محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص 167.

إلى ابن عباد الرندي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن بكر بن عباد، ولد سنة 733هـ/1332م[1]، نشأ برندة، طاف بعدد من عواصم المغرب درس على شيوخها، ومن أهمّهم أبي عبد الله الآبلي والشريف التلمساني وأبي عبد الله المقري، ومحمد بن أحمد القشتالي قاضي الجماعة بفاس وعلى غيرهم في علوم اللغة والفقه والأصول والكلام[2]، انتمى ابن عباد الرندي للطّريقة الشاذلية▲، كتبه: "غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية"، وهو شرح لكتاب ابن عطاء الله السكندري، توفي ابن عباد الرندي سنة 791هـ/1389م[3].

2-2- الحياة الأدبية في الأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين:

شهدت الحياة الأدبية والفكرية الأندلسية في مملكة غرناطة ازدهارا كبيرا، إذ لقي الأدب بفنونه المختلفة حيّزا هاما من العناية، كان كافيا لرقيه وريعانه، وما المخلفات الكبرى في الأدب إلاّ دليلا قاطعا على تطوّره بنوعيه نثرا وشعرا.

فالنّثر عرف تطورا وذلك لعناية السلاطين له، باعتبار أنّ الديوان السلطاني كان يضمّ أكثر من كاتب، فانتشرت الرسائل بين البلاطات السياسية (الأندلس، المغرب والمشرق)، فذاعت نماذج من النّثر الأندلسي، وكانت مثيرة للإعجاب، كرسائل لسان الدين بن الخطيب، وتسمى أيضا المراسيم السلطانية، جمع عددا كبيرا منها في كتابه "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"[4].

وانتشرت كذلك فنون المقامة، وهي في الأصل فنّ مشرقي انتقلت إلى بلاد المغرب والأندلس، وقد استمرت في غرناطة حتى سقوطها، وقد أمدتنا بصورة للمجتمع الأندلسي، ومن أهمّ من برز في هذا الفنّ لسان الدين بن الخطيب، ومن مقاماته: "مقامة السياسة"،

---

[1]- المرجع السابق، ص 167.

[2]- المرجع نفسه ، ص 167.

▲- نسبة لأبي الحسن الشاذلي، علي بن عبد الله بن عبد الجبار وشهرته نسبة لشاذلة وهي إحدى قرى تونس، ولد سنة 593هـ وتوفي سنة 656هـ في طريقه غلى الحجّ، ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1992، ص229.

[3]- محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص 168.

[4]- إسماعيل بن الأحمر، نثير، ص 150

و"مقامة وصف البلدان"، و"معيار الاختيار في أحوال المعاهد والديار"، و"خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف"[1].

كما انتشرت كتب التراجم الأدبية، التي تتعرّض لسيرة الشعراء والكتاب فتترجم لهم، وتذكر أخبارهم ومناقبهم، ومن رواد هذا الفنّ لسان الدين بن الخطيب في كتابه "الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة"[2].

أمّا فيما يخصّ الشعر، فقد برز العديد من الشعراء الذين اشتهروا في عهد بني الأحمر، كالسلطان أبي عبد الله محمد الثاني (671هـ-701هـ/1272م-1302م)، ومحمد الثالث (701هـ-708 هـ/1302م-1308م)، بالإضافة إلى أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الضرير[3]، وأبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي المعروف بابن مرج الكحل[4]، وابن سعيد المغربي وأثير الدين أبي حيان[5]، إلاّ أنّ أهمّ شخصيتين شعريتين في الأندلس هما:

- **لسان الدين بن الخطيب:**

محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، ولد في 25 رجب من عام 713هـ الموافق لـ16 نوفمبر 1313م بمدينة لوشة في وسط عائلة علم وأدب، وانتقلت عائلته إلى غرناطة فدرس بها الطبّ والفلسفة والشريعة والأدب وبرز في النّثر والنظم على يد أساتذة عصره كأبي عبد الله بن عبد المولى، الذي قرأ عليه القرآن رسما وحفظا، ونسخ النحاة في زمانه أبي عبد الله بن الفخار، وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر[6].

تولّى الوزارة على مراحل، فتولّى منصب أمانة سرّ الوزير أبي الحسن بن الجباب، وبعد وفاة هذا الأخير، خلفه لسان الدين بن الخطيب في الوزارة إلى جانب كبير الوزراء أبي

---

[1]- إسماعيل بن الأحمر، نثير....، المصدر السابق، ص152.

[2]- المصدر نفسه، ص 140.

[3]- يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 146.

[4]- المرجع نفسه، ص 142.

[5]- عبد الحكيم الذنون، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص117.

[6]- محمد عبد الله عدنان، المرجع السابق، ص472.

النعيم رضوان، وبعد وفاة هذا الأخير تولّى الوزارة في سنة 761هـ، جاز غلى المغرب هاربا رفقة السلطان محمد الغني بالله بعد سجنه وحرق كتبه ومصادرة أملاكه بفضل شفاعة أبي سالم المريني، فاستقرّ بسلا[1].

عاد ابن الخطيب والسلطان إلى غرناطة بعد عامين من اللجوء بفاس وسلا فتولّى ابن الخطيب الوزارة من جديد، لكن استئثاره بالسلطة وانفراده بالحلّ والرّبط، جمع حوله الحساد والمبغضين الذين أثمرت مساعيهم لدى صاحب الحمراء –وراء طليعتهم أبو عبد الله بن زمرك وأبو الحسن النباهي– ضدّ لسان الدين بن الخطيب[2]، فلمّا أحسّ بتغيّر السلطان عليه، جاز مرة أخرى إلى المغرب سنة 772هـ والتحق بتلمسان، حيث تلقاه ابو فارس المريني بالترحاب والتّكريم، إلا أنّه لم يستقر بها بسبب وفاة السلطان عبد العزيز المريني، فانتقل إلى فاس، حيث حاول حكّام غرناطة تسلّمه من الوزير الوصي ابن الغازي، لكنّه رفض، وما إن انتصر عليه السلطان الجديد أبو العباس، حتى دخل فاس وقبض على لسان الدين بن الخطيب، وقدمه للمحاكمة بحضور ابن زمرك، قتل خنقا سنة 776هـ/1375م[3].

يعتبر ابن الخطيب قطب الشعر والنثر في عصره، فقد طبعت عبقريته الأدبية هذه المرحلة كلها، بالإضافة إلى عبقريته في جوانب أخرى كالطب والفلسفة والسياسة والتاريخ، فقد ترك لنا تراثا ضخما منوعا من مؤلفات عديدة، أدبية وتاريخية وطبية وطائفة كبيرة من القصائد والموشحات ورسائل أدبية لا تحصى[4].

وأهمّ مؤلفات لسان الدين بن الخطيب:

- الإحاطة في أخبار غرناطة.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية.
- رقم الحلل في نظم الدول.
- ريحانة الكتب ونجعة المنتاب.

---

[1]– المرجع السابق، ص 472.

[2]– محمد عبد الله عدنان، المرجع السابق، ص 475.

[3]– المرجع نفسه، ص 479.

[4]– المرجع نفسه، ص480.

- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام[1].

أمّا الشخصية الثانية التي برزت في المجال الأدبي فهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد الشريحي المعروف بابن زمرك (734هـ- 796م/ 1333-1393م)، هو تلميذ بن الخطيب وخلفه في وزارة غرناطة، برع ابن زمرك في الوصف والمترجلات والموشحات وكان عالما فقيها باللغة العربية، نظم شعره في المدح، كما كانت له قصائد وصفية، خاصة في وصف قصر الحمراء وبساتينها والحفلات التي كانت تقام بها[2]، كما ذاع صيته في فنّ الموشحات، حيث له خمسة عشر موشحة، أكثرها في مدح الغني بالله، وإحداها في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم، واشتهرت له موشحات صبحية، يذكر فيها وداع صاحبته في الصّباح[3].

2-3- العلوم الاجتماعية:

اهتمّ الأندلسيون بتدوين التاريخ والتّأريخ للسلاطين والحكام، والترجمة للعلماء والأدباء، فظهرت العديد من كتب التاريخ والتراجم التي بينت لنا حالة البلاد وعرفتنا بالكثير من العلماء والأدباء، وقد برز في هذا المجال العديد من المؤلفين الذين ساهموا بقسط وافر في الحفاظ على تاريخ الأندلس ولعلّ أبرزهم لسان الدين بن الخطيب الذي ألّف العديد من كتب التاريخ والترجمة لعلّ أهمها كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة**"، وهو عبارة عن موسوعة عرفتنا بتاريخ المدينة وأعلامها، بالإضافة إلى كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض".

ونذكر في هذا المجال كذلك القاضي أبو الحسن النباهي المولود سنة 713هـ صاحب كتاب "المرقبة العليا في من يستحقّ القضاء والفتيا" وأبي سعيد الغرناطي (610هـ- توفي في الربع الأخير من القرن السابع)، صاحب كتاب "المغرب في حلي المغرب"[4].

---

[1]- عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 125.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 207.

[3]- عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 210.

[4]- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 121.

ومن العلوم الاجتماعية التي ظهرت في هذه الفترة الجغرافيا والرحلات، واللذان يعدان علمين مكملين لعلم التاريخ، وقد برز في هذا المجال بالأندلس –على سبيل المثال لا الحصر–

- **العبدري:**

محمد بن محمد بن علي العبدري، من أهل بلنسة، طاف بنواحي المغرب في سنة 688هـ، وسجل مشاهداته في مؤلف هو كتاب "الرحلة المغربية" بدقة كبيرة بدأها من تلمسان في طريقه إلى الحجّ، حيث بيّن ووضّح أهمّ المواقع الجغرافية التي زارها ووصف لنا أهمّ معالمها الأثرية[1].

- **البلوي:**

أبو البقاء خالد بن عيسى، غادر الأندلس سنة 736 هـ في رحلة إلى الحجّ، وقد دوّن أخبار رحلته في كتاب "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"[2].

بالإضافة إلى هؤلاء نذكر ابن رشيد السبتي صاحب كتاب "ملء الغيبة فيما جمع بطول الغيبة في رحلة غلى مكة وطيبة"[3].

2-4- العلوم العقلية:

لم تبلغ العلوم العقلية درجة الاهتمام الذي بلغته العلوم الدينية، كما كان لهجرة الكثير من العلماء في غرناطة إلى الخارج الأثر الكبير في عدم ازدهار هذه العلوم، ورغم هذه المعوقات، نجد أنّ نفرا غير قليل نبغ في الرياضيات والفلك والكيمياء والطبّ وغيرها من العلوم ومنهم عبد الله أحمد المالقي المعروف بابن البيطار (ت646هـ/1247م)، والذي قام برحلة لمعاينة الأعشاب ودراستها، له العديد من المؤلفات منها "الجامع لمفردات الأدوية

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و8هـ، مكتبة فهد الوطنية، 1996، ص 116-120.

[2]- المرجع نفسه ، ص 134.

[3]- عبد الهادي التازي، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المدينة المنورة، 2005، ص 88.

والأغذية"[1]، ونجد كذلك من الأطباء أبو عبد الله الخمّي الشاقوري طبيب محمد الخامس، له عدّة مؤلفات منها رسالة بعنوان: "مجريات حول أمراض الرجال من الرّأس إلى القلب"[2]، وغلى جانب ذلك برع في مجال الطبّ محمد بن فرج القربلياني (ت761هـ)، وقد تخصّص في الجراحة وله كتاب "الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام".

كما برع الغرناطيون في دراسة الكيمياء وممّا يدلّ على ذلك توصلهم لمعرفة مدفع البارود واستخلاص عملية التقطير والتّصعيد والتّخمير والتّحليل[3].

كما كان للعم الفلك نصيب لا يستهان به من الدراسة في عهد بني الأحمر وقد برز فيه العديد من العلماء من بينهم أبو بكر عبد الملك القضاعة (ت707هـ/ 1307م) صاحب كتاب "ترحل الشمس ومعرفة الأوقات" وأبو يحيى بن رضوان الوادي آشي صاحب كتاب "منظوم علم النجوم"، وله رسالة في الاسطرلاب[4]، كما برز في غرناطة في مجال علم الرياضيات كل من ابن البناء والرقوطي[5].

---

[1]- يوسف فرحات، المرجع السابق، ص225.

[2]- الطوخي، المرجع السابق، ص 371.

[3]- المرجع نفسه، ص 370.

[4]- المرجع نفسه، ص 371-375.

[5]- عبد الحكيم الدنون، المرجع السابق، ص 117.

الفصل الثالث

1 – عوامل تمتين العلاقات بين تلمسان وغرناطة.

اجتمعت عدة عوامل، تركت أثرها الواضح في تاريخ العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجري، جعلت التجميع الفكري أسرع منالا وأشد فاعلية ويسّرت التبادل الفكري بين القطرين. ومن أهم عوامل هذا التقارب والتواصل بين غرناطة وتلمسان ما يلي:

أ- العامل الجغرافي:

كان للعالم الجغرافي دور هامّ في ربط العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي، فلمّا فتح المسلمون بلاد المغرب توجهت أنظارهم إلى الأندلس، فتّم فتحها على يد القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد سنة 92هـ، وبذلك صارت الأندلس إقليما تابعا للمغرب سياسيّا وجغرافيا. فمن النّاحية الجغرافية تكاد تجمع المصادر على أنّ إقليم الأندلس جزء من بلاد المغرب، فيذكر عبد الواحد المراكشي هذا الأمر بقوله:" إذ هي معتمد المغرب الأقصى والمعتبر والمنظور غليها فيه..."[1].

والأندلس تقع في واجهة المغرب الأقصى والأوسط، لا يفصل بينهما إلاّ اثني عشر ميلا، تتمثل في موقع يعرف ببحر الزقاق[2]، وهذا دليل على قرب المسافة بين الجانبين والتي يمكن عبورها في وقت قصير جدّا.

فالقرب الجغرافي من أهمّ الأسباب التي توثّق العلاقات بين إقليم وآخر، والصلات الأندلسية المغاربية تأثّرت لا محالة بهذا القرب والذي جعل من البلدين كأنهما بلد واحد، فارتبطا منذ العهود الأولى للفتح الإسلامي إلى غاية سقوط غرناطة بعلاقات متينة في شتّى المجالات[3].

---

[1]– عبد الواحد المراكشي، ص12.

[2]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، دار بيروت، ص262.

[3]– محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 55.

لقد ساهم موقع تلمسان الجغرافي في تسهيل عملية الاتصال بين القطرين، إذ وصفها الإدريسي بقوله: "مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف الداخل والخارج منها لابدّ والاجتياز بها على كلّ حالة"[1].

ب – الوحدة المذهبية:

من العوامل التي ساعدت على تمتين العلاقات بين تلمسان وغرناطة، الوحدة المذهبية، أي إتباع كلا من الحاضرتين لمذهب واحد هو المذهب المالكي[2].

لقد كان لأهل المغرب والأندلس تقدير كبير لمذهب الإمام مالك، فلم يختصوا لغيره إلاّ في حالات خاصة، وقد كان لرحلة الحجّ دور هامّ في تثبيت مذهب الإمام مالك بالمغرب والأندلس، حيث أنّ زيارة المدينة المنورة بعد آداء مناسك الحجّ ساهمت بقسط وافر في نشر المذهب المالكي▲، حيث نجد أنّ أهل المغرب –خلال زيارتهم للمدينة– كثرت لقاءاتهم بالإمام مالك رحمه الله، فأخذوا عنه أصول مذهبه.

دخل المذهب المالكي إلى بلاد المغرب على يد عدد كبير من الوافدين من المشرق د، كأسد بن الفرات▲.

بقي المذهب المالكي محافظا على مكانته حتى قيام الدولة الفاطمية والتي حاولت القضاء على المذهب المالكي وإبداله بالمذهب الشيعي، إلاّ أنّ غالبية السكان بقوا على مذهب الإمام مالك ولو تمّ ذلك سرّا في كثير من الأحيان، وبعد انتقال الدولة الفاطمية، قام المعزّ بن باديس بخلع مذهب الشيعة والعودة إلى المذهب المالكي.

---

[1]– الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص250.

[2]– محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 55.

▲– المذهب المالكي نسبة إلى أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة سنة 93هـ، ويقال أنّه ولد سنة 95هـ، نشأ بها، تلقى العلم عن كبار الفقهاء من التابعين حتى صار يلقّب بعالم المدينة وإمام دار الهجرة، ذاع صيته في الآفاق فهرع إليه أهل العلم من مختلف البقاع، أشهر ما عرف به الإمام مالك هو الموطّأ، توفي سنة 179هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، م4، دار صار، بيروت، ص 136–138.

▲– أصله من نيسابور، قدم به أبوه غلى إفريقية، درس بها ثمّ توجّه إلى المشرق وسمع من مالك الموطّأ، ثمّ توجّه لجمع الحديث، تولّى القضاء في القيروان سنة 204هـ، توفي سنة 213هـ، وكان مولده سنة 145هـ، ينظر محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، 1349، ص62، محمد أبو زهرة، مالك، حياته، عصره وآراءه الفقهية، دار الفكر العربي، بيروت، ص 488.

وفي العهد المرابطي، زاد نفوذ المذهب المالكي، نظرا لاهتمام المرابطين بأهل العلم والفقه على وجه الخصوص، فكان بعض الملوك لا يقع في أمر من شؤون الدولة إلاّ بعد مشاورة الفقهاء[1].

ولكن مع تولّي الموحدين زمام الأمر ببلاد المغرب، لقي المذهب المالكي معاناة كبيرة، فقد حاول الموحدون نشر المذهب الظاهري، فأحرقت الكثير من كتب ومصادر المالكية، لكن محاولات الموحدين باءت بالفشل، فقد خرج المذهب المالكي من هذه المحنة منتصرا، واستردّ مكانته ولقي قبولا من قبل الفقهاء وعامة الناس[2].

وقد ساد المذهب المالكي تلمسان في عهد بني زيان، حيث اتخذه السلاطين مذهبا رسميا للدواة وعملوا على تشجيعه، واستخدموه في القضاء والفتوى[3].

أمّا في الأندلس فقد عمّ مذهب الإمام مالك وحلّ محلّ مذهب الإمام الأوزاعي، الذي نقله عامة الفاتحين إلى الأندلس، إلاّ أنّه هناك اختلاف كبير في مسألة من أدخل مذهب مالك إلى بلاد الأنلس، فيقال أنّ أبا عبد الرحمن زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقّب بسبطون هو أوّل من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس[4]، أمّا ابن القوطية فيذكر أنّ أوّل من أدخل الموطّأ إلى الأندلس هو الغازي بن قيس[5].

وقد نال المذهب الملكي منزلة عالية عند الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الذي حمل الناس على إتباع المذهب المالكي، وممّا يقال في سبب تبنّي هشام بن عبد الرحمن لمذهب الإمام مالك، أنّ الإمام سأل بعض الأندلسيين عن سيرة سلطان الأندلس، فقالوا له يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله، فقال مالك: "ليت عندنا مثله"، فكان هذا الأمر سبب محنته، فلمّا سمع هشام بن عبد الرحمن هذا القول تحول عن مذهب الأوزاعي

---

[1]- المرجع السابق، ص 489.

[2]- المرجع نفسه ، 490.

[3]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص241.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 149.

[5]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989، ص 56.

وحمل الناس على إتّباع مذهب الأمام مالك[1]، وهناك من يقول أنّ سبب تحوّل الناس عن مذهب الأوزاعي ما سمعوه من فضل مالك وعظيم أثره وشهرته[2].

وقد عمّ المذهب المالكي الأندلس واستمرّ بها حتى سقوطها، إلاّ أنّ هذا لا ينفي وجود مذاهب أخرى كالمذهب الشافعي والظاهري وغيرها من المذاهب[3].

ج- الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط:

عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الأسر الأندلسية خاصة في فترات الأزمات السياسية في الأندلس، فقد كان لتدهور الأوضاع السياسية الأثر المباشر في توالي الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الأوسط بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة ولاسيما بعد ضعف دولة الموحدين.

والهجرة الأندلسية تعود إلى القرن الثالث الهجري، حيث هاجرت جالية أندلسية إلى المغرب الأوسط وأسّست مدينة تنس سنة 262هـ/ 876م ومدينة وهران سنة 290هـ/903م[4].

ويرجع الظهور المبكّر للأندلسيين ببلاد المغرب إلى أنّ الدولة الأموية كانت تبحث عن قاعدة أندلسية أمامية تقف في وجه المدّ الفاطمي في المنطقة، وقد استمرّ التدفّق الأندلسي إلى السّواحل المغربية لاسيما بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1099م[5].

وبلغت الهجرة الأندلسية حدّتها في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، وقد بدأت هذه المرحلة مع بداية ضعف المسلمين في الأندلس وتكوين دول الطوائف، ونشطت أكثر وأكثر مع ازدياد حركة الاسترداد المسيحي للمراكز الإسلامية في الأندلس[6].

---

[1]- خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس ، عصر الإمارة الأموية، ط2، منشورات جامعة فاريونس، كلية الأداب، 1980، ص111.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص149.

[3]- المرجع نفسه، ص 150.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 173.

[5]- المرجع نفسه، ص 174.

[6]- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، ط1، مطبعة تلمسان، 2005، ص198.

وفي هذا الصّدد بقول ابن خلدون: "أمّا أهل الأندلس فاستقرّوا في الأقطار عندما تلاشى ملك العرب فيها ومن خالفهم من البربر وتغلب النصارى عليهم، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل المغرب في العمران بما لديهم من الصنائع وتغلّب خطّهم على الخطّ الإفريقي..."[1].

بلغت الهجرة حدّتها بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب سنة 1212م وبداية سقوط الكثير من المدن والحصون بيد النصارى[2]، فقد تضاعف عدد المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب حينما تمكّن الإسبان من الاستيلاء على مدن الشرق الأندلسي وغربه لوشة سنة 622هـ/1238م وماردة سنة 626هـ/1228م وقرطبة سنة 636هـ/1238م وبلنسية ومرسية وشاطبة سنة 645هـ/1247م وإشبيلية سنة 646هـ/1248م[3].

لقد عرفت الدولة الزيانية في هذه المرحلة تدفقا واسعا للمهاجرين الأندلسيين، فقد نزحت جالية أندلسية إلى بلاد المغرب الأوس، ووجدت فيه مكانا مناسبا، فاستقرت في المناطق الساحلية كوهران ومستغانم وهنين، بينما فضّلت أعداد أخرى الاستقرار في تلمسان، نظرا لأنّها حاضرة من حواضر العلم ومركز إشعاع في العالم الإسلامي، وكذا لمكانتها العمرانية ونشاطها التجاري في بلاد المغرب الأوسط[4].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الجدير بالذّكر هو أنّ المهاجرين الذين استقروا بتلمسان، كان أغلبهم من الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاحين والصنّاع[5]، وقد أعطى يغمراسن أهمية كبيرة للمهجرين الأندلسيين، حيث أصدر في شأنهم ظهيرا يؤكّد على عنايته بهم وحقّهم في السّكن وتملّك الأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم[6].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص....

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 174.

[4]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 62.

[5]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص201.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 175.

2 – مظاهر العلاقات الثقافية بين تلمسان وغرناطة:

أ – التبادل العلمي:

لقد كانت بين علماء المغرب الأوسط في العهد الزياني وأقرانهم الأندلسيين علاقات طيبة مبنية على التبادل العلمي من خلال تبادل المصنفات وإبداء الرّأي والمشورة والاستفسار والفتوى، والتي زاد من قوتها سيادة مذهب واحد هو المذهب المالكي[1].

فكان الكثير من العلماء يسألون نظراءهم من تلمسان، كلّما صعبت عليهم مسألة أو أمر والأمثلة على ذلك كثيرة ومن ذلك ما كان يفعله عالم الأندلس الشهير أبو سعيد بن لبّ الغرناطي (ت782هـ)، والذي كان كلما صعب عليه أمر بعث به إلى أبي عبد الله الشريف التلمساني ليوضحه له ويبيّن له ما استصعب عليه وكان ذلك إقرار بعلم الشريف التلمساني وفضله[2].

وكان لسان الدين بن الخطيب صاحب التّآليف العديدة كلّما ألّف كتابا، إلاّ وبعث به إلى الشريف التلمساني، ليعرضه عليه ويطلب منه أن يكتب فيه بخطّه ويبدي فيه رأيه[3].

كما رأيه لسان الدين بن الخطيب على صلة بشيخه وأستاذه أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب، فكان دائما يشيد به وبفضله عليه، ويكتب إليه ليعرض عليه أعماله ويعلّق عليها، وقد ذكر المقري في نفح الطيب أنّه رأى في كتاب الإحاطة للسان الدين بن الخطيب تعقيبا بخط ابن مرزوق[4].

وكثيرا ما كان طلبه العلم في غرناطة يبعثون لابن مرزوق أسئلة ويطلبون إجابته وفتواه، وعلى سبيل المثال ما حصل من خلاف بين طلبة غرناطة حول عدة مسائل تتعلّق بالطهارة فكتب أحدهم إلى ابن مرزوق يستفسره وممّا جاء في هذه الرسالة: "...شيخنا وبركتنا ووسيلتنا إلى الله تعالى، سيدي محمد بن مرزوق، أدام الله للإسلام حياته وحفظ في الوجود أوقاتكم....تلميذكم أحمد الحسني لطف الله به وبعد، فالذي أطلب منكم النظر في جوابنا

---

[1]– محمود بوعياد، المرجع السابق، ص55.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.

[3]– المصدر نفسه، ص 175.

[4]– المصدر نفسه، ص 142.

حول الفرق بين المتيمّم يطلع عليه إنسان وهو في الصلاة معه وهو في الصلاة معه ماء يتمادى ولا يقع، وفي المعتمدة بالشهور، ترى الحيض بعد أن مرّ أكثرها ترجع إليه...[1].

وإن دلّ هذا على أمر، فإنّما يدلّ على قوة العلاقة التي كانت تربط علماء الأندلس بعلماء المغرب الأوسط وخاصة حاضرته تلمسان، كما يدلّ على مدى تفوق علمائها والمكانة الكبيرة التي كانوا يتمتّعون بها في تلك الفترة.

كما كان لعبد الرحمن بن خلدون دور كبير في المراسلات وتبادل المصنفات بين تلمسان وغرناطة من خلال تنقله بين أرجائهما والمراسلات العديدة التي تمّت بينه وبين علمائها وعلى رأسهم لسان الدين بن الخطيب[2].

وقد كان كثير من العلماء بتلمسان يبعثون إلى علماء الأندلس سواء للاستفسار عن أمور معينة أو لطلب المعونة في أمور ما، ومن أمثلة ذلك ما فعله ابن مرزوق عندما شرع في شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، إذ بعث لعلماء الأندلس وشعرائها ليكتبوا له مدحا فيه، فأجابه الكثير من الشعراء، نذكر منهم ابن الخطيب وابن زمرك، فقال الأول ثلاث قصائد، بعثها إليه مطلع كل منها:

شفاء عياض للصدور شفاء فليس يفض قد حواه خفاء.

أمّا الثانية:

أ أزاهير رياض أم شفاء لعياض

أمّا الثالثة فمطلعها:

حيث يا محيط سبت ابن نوح بكلّ مزن يغتدي أو يروح[3].

أمّا ابن زمرك فقال قصيدة في مدح كتاب الشفا مطلعها:

ومسرى ركاب للصبا قد ونت به نجـــائب سحب للتراب نزوعها

تسل سيوف البرق أيدي حداتها فتنهل خوفا من سطاها دموعها

جامعة بوبكر بلقايد - تـ
كلية الآداب و اللـ
مكتبة اللغة و الأدب العربي

[1]- المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حشاني مختار، ج1، نشر مخبر المطبوعات، جامعة الجزائر، 2004، ص 142.

[2]- ابن خلدون التعريف، المصدر السابق، ص112-144، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص389.

[3]- محمد عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 220.

ومنها:

ولا مثل تعريـــف الشفـــا حقوقـه فقد بـــان فيه للعقـــول جميعها
بمرآة حسن قـد جلتهـا يد النهـى فأوصافه يلتـــاح فيه بديعهـــا
نجـــوم اهتداء والمـــداد بجُنهـــا وأسرار غيب و اليراع تذيعهـــا
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
وللـــه ممـــن تصـــدى لشرحـــه فلبّاه من غرّ المعاني طيعـــها[1]

ب - **المراسلات الإخوانية:**

جرت بين علماء تلمسان العديد من المراسلات الأخوية، فضلا عن الرسائل المتعلقة بالفتوى والاستفسار، وكانت جلّ تلك الرسائل تتدرج في إطار التهنئة، الشكر، المدح، الوصف والشفاعة وإظهار الودّ[2].

كان لسان الدين بن الخطيب رائدا في هذا المجال، فقد امتاز بكثرة مراسلاته مع علماء تلمسان، وقد وردت إليه كذلك الكثير من مراسلات العلماء والأدباء، وتركزت مراسلات ابن الخطيب مع كلّ من ابن مرزوق والأخوين يحي وعبد الرحمن بن خلدون، فقد كتب لسان الدين بن الخطيب رسالة لابن مرزوق ردّا على رسالة من هذا الأخير، جاء فيها:

ولما أن نأت منكم ديـاري وحـــال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سواد في بياض لأنظركم بشيء مثل عيني[3]

بما أفاتحك يا سيدي وأجل عددي سلاما، فلا أحذر ملاما أو أنتخب لك كلاما، فلا أجد لتبعة التقصير في حقك الكبير إيلاما..."[4].

سلام وتسليم وروح ورحمة عليك ممدود من الظّلّ سجسج

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، 310.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 461.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج2، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص144.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 145.

ومن رسائل ابن مرزوق لابن الخطيب، ما بعثه إليه عند قدومه مدينة فاس قائلا:

يا قـــادما وافي بكلّ نجـــاح أبشر بمـــا تلقـــاه من أفراح
هذه ذرى ملك الملـــوك فلذ بها تنل المنى وتفز بكلّ سمـــاح
مغنى الإمـــام أبي عنان يممّن تظفر ببحر في العلا طفّـــاح
من قاس جود أبي عنان في الندى بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفـــاة نواله قبل السّؤال وقبـــل بسطة راح

الحمد لله يا سيّدي وأخي على نعمه التي لا تحصى، حمدا يؤم به المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى...، ولقدومكم على هذا المقام المولوي في ارتقاب... فها أنت تجتلي من المقام العالي وتلقي أحاديث مكارمه ومواهبه مسندا صحاحا بحول الله تعالى ..."، فبين ابن الخطيب وابن مرزوق رسائل مدح وإقرار فضل بينهما، كما كانت بينهما رسائل شكا فيها لسان الدين ضيق حاله و المآل الذي آل له ابن مرزوق[1]، فقد شكا في إحداها حاله بعد النكبة التي تعرض لها وفراره إلى المغرب، طالبا منه الشفاعة[2].

لم تقتصر مراسلات ابن الخطيب لابن مرزوق، بل تعدّتها لتشمل عبد الرحمن بن خلدون، فكانت بينهما العديد من المراسلات، منها أنّه لما حلّ ابن خلدون بالأندلس، بعث له ابن الخطيب رسالة يرحّب فيها بمقدمه، ومطلعها:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بما تعنـــو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدا والكهـــل
لقد نشأت عندي للقياك غبطـة تنسى اغتباطي بالشبيه والأهـــل
وودي لا يحتـــاج فيه لشـاهد وتقرير ي المعلوم ضرب من الجهل[3]

ومن رسائله أيضا لابن خلدون:

هنيئا أبا الفضل والرضا أبا زيد وأمنت من بغي يُخاف ومن كيد
بطالع بمن ينال في السعد شأوه فلا هو من عمر الرجال ولا زيد

---

[1]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص 64،65.

[2]- المصدر نفسه، ص388، 389.

[3]- ابن الخطيب، ريحانة الكتاب...، المصدر السابق، ص 185.

وقيد بشكر الله أنعمه التي أوابد هل تأبى بسوى الشكر من قيد[1]

ولمّا حلّ لسان الدين بن الخطيب بالمغرب الأوسط، بعث برسالة لابن خلدون، الذي كان ببسكرة، جاء فيها:

من أنكر غيثا منشؤه في الأرض وليس بمخلفها
فبنان بني مزني مزن تنهل بلطف مصرفهـــا
مزن مدخل ببسكـــرة يوما نطقت بمصحفهـــا
شكرت حتى بعبارتها وبمعنـــاهـــا وأحرفهـــا[2]

هذه عيّنة قليلة من الرسائل الكثيرة التي كان يبعث بها لسان الدين بن الخطيب لعبد الرحمن بن خلدون، يعبّر فيها عن حبّه وشوقه له، وكان ابن خلدون أبا زيد يردّ هو الآخر برسائل تتضمّن مشاعر الشوق والحنين إلى اللقاء.

ولم تقتصر رسائل ابن الخطيب لعلماء تلمسان على ابن مرزوق أو عبد الرحمن بن خلدون، بل شملت أيضا يحي بن خلدون، بعدما تولى هذا الأخير الكتابة للسلطان أبي حمو موسى الثاني، مطلع إحداها ما يلي: "**تخص الحبيب الذي هو في الاستظهار به أخ وفي الشفقة عليه ولد، والوالي الذي ما بعد قرب مثله أمل...**"[3].

وبالإضافة إلى رسائل التهنئة والمدح، كانت هناك مراسلات من نوع آخر، تمثلت في رسائل الشفاعة، والتي كانت تبعث من طرف أحد العلماء أو الوزراء لأحد سلاطين المغرب أو الأندلس بغرض الشفاعة لعالم محتجز أو محل تهديد، ومن ذلك ما كتبه لسان الدين بن الخطيب على لسان السلطان النصري يوسف إلى أبي عنان فارس للعفو عن الشيخ أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب، الذي فضّل الاستقرار بغرناطة ورفض الخدمة لدى أبي عنان، وكتب الرسالة سنة 754هـ/1353م[4].

---

[1]- المصدر السابق ، ص 177.

[2]- المصدر نفسه ، ص 136-137.

[3]- المصدر نفسه، ص: 140،143.

[4]- ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص160،161.

إنّ هذه الرسائل التي ذكرناها وغيرها من الرّسائل المتبادلة بين علماء تلمسان وغرناطة، لدليل واضح وعلى متانة الصلات بين علماء الحاضرتين، وتعد مظهرا بارزا في العلاقات الثقافية بين الدولتين الزّيّانيّة والنصرية.

ج- حركة العلماء بين القطرين:

كانت حركة العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس بصفة عامة وبين تلمسان وغرناطة بصفة خاصة نشيطة، ممّا ساهم بقسط وافر في تمتين الصلات الحضارية والثقافية بين القطرين والحاضرتين.

وقد أُرجعت هذه الحركة لعدّة عوامل أهمها طلب العلم والإجازة، فالرحلة في طلب العلم شرط أساسي في التعلم ولابدّ منها لما يكتسبه الطالب من خلال التقائه بالمشايخ على اختلاف طرقهم ومناهجهم التعليمية[1].

فالرحلة في طلب العلم من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عموما باعتبارها عاملا هاما في تمتين العلاقات والروابط بين العلماء من المغرب والأندلس وكذلك المشرق[2]، ومظهرا من مظاهر الصلات الثقافية بين الدول، فنتج عنها تبادل المعروف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حيث كان العلماء يتصلون بعلماء المشرق والأندلس ويتبادلون معهم الكتب والمصنفات وشتى أنواع المعارف ويتدارسونها، فكانت الحركة مستمرة بين فاس وتلمسان وغرناطة وتونس والشام ومصر والعراق للاستزادة من مختلف العلوم وللإجازة وللتعلّق أكثر في دراسة مختلف العلوم[3].

لذا كان الطلبة لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم، فكانوا يجوبون مختلف البلدان وأهمّ المراكز الثقافية للقاء أكابر العلماء والأخذ عنهم رغم مشقة السفر وصعوبة الرحلة[4].

---

[1]- ابن خلدون، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص160-161.

[2]- المصدر نفسه، ص541.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 87.

[4]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص99.

فكان طلبة تلمسان ينتقلون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ليدرسوا بحواضره الثقافية كفاس ومراكش وبجاية وغرناطة، أو إلى المشرق للأخذ عن شيوخ القاهرة ودمشق وبغداد، فضلا عن شيوخ الحرمين والقدس الشريف[1].

بالمقابل كان طلبة غرناطة يجيزون إلى بلاد المغرب والمشرق للاستزادة من العلم والمعرفة ومن بين أهمّ مناطق توافدهم مدينة تلمسان، للأخذ عن علمائها كابن مرزوق وأبي عبد الله الشريف التلمساني وابني الإمام، بالإضافة للمغربي الأقصى والأدنى[2].

ومن أهمّ دوافع تنقّل العلماء بين تلمسان وغرناطة -بالإضافة إلى حبّ العلم والاستطلاع وحبّ اكتشاف المجهول والتعرّف على أماكن ومدن جديدة وارتياد مراكز العلم في أنحاء البلاد المختلفة للاتصال بالعلماء والفقهاء- طلب الإجازة عن المحدثين والرواية عنهم، حرصا على الإسناد العالي الذي يصل الطّلبة بمؤلفي كتب الحديث وغيرها من أمّهات كتب العلوم الشرعية[3].

والإجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظا وكتابة، وكانت لا تمنح إلاّ لمن درس علم الحديث، ثمّ صارت تمنح في كلّ العلوم والفنون[4].

كما كانت رحلة الحج من عوامل تمتين روابط العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس ومظهرا من مظاهر التواصل الثقافي بين أقطار العلم الإسلامي، وجزءا هاما في حركة تنقل العلماء، وما ينجر عليها من روابط بينهم وبين علماء المناطق التي ينزلون بها، نظرا لما كان يحصل أثناءها من التقاء بين الطلبة والشيوخ من مختلف الأقطار[5].

ولمّا كانت تلمسان تقع على طريق الحجّ بالنسبة للأندلسيين، فكان لابدّ لهم من الاجتياز عليها والنزول بها، وهو ما ساهم في تبادل ثقافي وعلمي بين الطرفين، وقد عبّر

---

[1]- محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص406.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 291.

[3]- القلصادي، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل المعروف برحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ص59.

[4]- محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص405.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 262.

لسان الدين بن الخطيب عن هذا الأمر بقوله عن تلمسان: "إنّها للمغرب بابا ولركاب الحجّ ركابا..."[1].

وبالإضافة إلى الرحلة في طلب العلم والحجّ، وجدت عوامل أخرى دفعت العلماء إلى الانتقال بين غرناطة وتلمسان، ومن ذلك تدهور الأوضاع السياسية لاسيما في الأندلس، بعد سيرة النصارى على عدة مدن، فآثر بعض العلماء الأندلسيين ومفكريهم التنقل من هذه البيئة التي أخذت تنحدر نحو الهوان، وأخذت عناصر القوة والعزة والمنعة تزول منها، فقصد العديد من العلماء المناطق المجاورة كالمغرب الأقصى وتلمسان وتونس[2].

والأمر نفسه ينطبق على علماء تلمسان، الذين هاجر الكثير منهم لأسباب سياسية، أو نتيجة ضغوط وتضييق عانوا منه من لدن الحكّام، ولعلّ ابرز مثال ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون عن نفسه، أنّ من أسباب مغادرته تلمسان هو اضمحلال أمر صاحبها، كما أنّ العالم محمد بن إبراهيم الآبلي خرج من تلمسان بعدما أكرهه السلطان أبو حمو موسى الأول على العمل معه والتّصرّف في أعماله وأمواله، وإجباره على جمع الجباية[3].

تعتبر حركة تنقل العلماء بين تلمسان وغرناطة مظهرا هامّا من مظاهر التواصل الثقافي بين الحاضرتين، عادت بالنفع على المغرب الأوسط والأندلس في جميع المجالات، لاسيما في المجال الثقافي، إذ أدّى هؤلاء العلماء دورا هاما في نسج العلاقات الثقافية بين المدينتين من خلال تنقلاتهم ورحلاتهم المستمرة وانشغالهم في مناصب هامّة كالتّدريس والخطابة والقضاء والسفارة.

ومن أمثلة العلماء الذين انتقلوا بين تلمسان وغرناطة، وكان لهم الأثر الكبير في الحياة الثقافية، ابن الخطيب المرسي الأندلسي، الكاتب والأديب المشهور، الذي استعمل للكتابة السلطانية في غرناطة، ثمّ غادرها إلى تلمسان[4] ونزل على سلطانها يغمراسن بن

---

[1]- ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 85.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص26.

[3]- الحفناوي، المرجع السابق، ص 89.

[4]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.

زيان الذي عيّنه كاتبا له[1]، فنقل خبراته إلى تلمسان، وساهم بقسط وافر في ازدهار الحياة الأدبية بها، حيث كان من أبرز الكتاب خطّا وأدبا، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه.

وممّن ارتحل من غرناطة إلى تلمسان، وأقام بها لسان الدين بن الخطيب، الوزير الغرناطي، الذي استعمل في الوزارة، فصدرت عنه الكثير من الرسائل والقصائد إلى سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي، وكانت بينه وبين علماء زمانه مراسلات عديدة، زار ابن الخطيب تلمسان أيام محنته التي تعرّض لها بالأندلس وفراره إلى بلاد المغرب[2].

ومثلما كان أهل غرناطة يقدمون إلى تلمسان للتزوّد من العلم والمشاركة في تطوير الحياة الفكرية وترقيتها، كان بعض العلماء، من أبناء تلمسان يرحلون إلى الأندلس ويستوطنون بها، ومن هؤلاء ابن خميس التلمساني، شاعر المائة السابعة، ولاه السلطان الزياني أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء ولازم التدريس بالمغربين الأوسط والأقصى[3]، ثمّ انتقل إلى غرناطة، فاشتغل بالتدريس هناك كذلك، فساهم مساهمة فعالة في الحركة الأدبية بها وكان بمثابة حلقة الوصل التي تربط تلمسان وغرناطة[4]، ومن هؤلاء كذلك أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الإدريسي الحسني (ت 792هـ/1390م)، من كبار العلماء في وقته، رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وجلس مدّة للتدريس بها[5]، بالإضافة إلى عبد الله المقري الذي غادر تلمسان نحو غرناطة، والعالم ابن مرزوق الخطيب، الذي رحل إلى الأندلس ونزل على سلطانها أبي الحجاج يوسف الأول، الذي بالغ في إكرامه[6] وعيّنه بجامع غرناطة خطيبا ومدرسا، فأخذ عنه الكثير من طلبة الأندلس، كابن الخطيب وابن زمرك، واللذين بقيا على اتصال مع شيخهما حتى بعد مغادرته إلى تلمسان كما رأينا سابقا[7].

---

[1]- التنسي، تاريخ بني زيان، المصدر السابق، ص 127.

[2]- ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 85-86.

[3]- الحفناوي، المرجع السابق، ص 376.

[4]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين9 و20م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 30-31.

[5]- الحفناوي، المرجع السابق، ص 376.

[6]- ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 16.

[7]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ص 236-237.

د – التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط:

- **في المجال العلمي:**

سبقت الإشارة إلى أنّ المغرب الأوسط وتلمسان خاصة شهد توافد العديد من المهاجرين الأندلسيين خاصة مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بسبب تدهور الأوضاع السياسية وسقوط معظم مدن الأندلس في يد النصارى وما صاحبه من تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وقد أسهم هؤلاء المهاجرين الأندلسيون بشكل واضح في الازدهار الحضاري للمنطق التي حلوا بها في مختلف المجالات الحضارية لاسيما في المجال الثقافي، كان من بينهم العديد من العلماء والفقهاء والأطباء، حاملين معهم علومهم ومعارفهم[1].

تميّز الأندلسيون بحبّهم للعلم واهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم، سواء عند الخاصة أو العامة، وقد قام مجموعة من أفراد هذه الجالية بنشر العلم بواسطة إلقائهم للدروس بالمؤسسات التعليمية الموجودة بالمدينة[2]، وقد تميّز هؤلاء بالذكاء، وحبّهم الكبير للعلم، واعتنائهم البالغ بالشّعر الذي بلغ التنميق فيه الغاية[3].

ولقد كان لهذه الصفات التي تميّز بها الأندلسيون أثر في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط، والأقاليم التي نزلوا بها، فأضحت تلك الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية[4].

ومن بين المجالات العلمية التي كان للأندلسيين فيها تأثير، طريقة التعليم والتي أدخلوا عليها أمورا جديدة، إذ كان المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الدينية في البداية، ثمّ ينتقل إلى العلوم الأخرى وقد أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة، على غرار أحمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م)، إذ يرى أنّ الطالب بهذه الطريقة يصبح مجرد وعاء على الأستاذ أن

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص16.

[2]– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، ج3، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 288.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 646.

[4]– القلصادي، المصدر السابق، ص 26.

يملأه بالمعلومات الغزيرة، في شتى العلوم[1]، كما وجّه أيضا تلميذه عبد الرحمن بن خلدون نقدا لهذا المنهج الذي يعتمد بالدرجة الأولى على الحفظ إذ كان المتعلّم ملزما بحفظ عدد كبير من المؤلفات، وما كتب عليها من الشروح والحواشي والمختصرات، ممّا يعيق عملية التّحصيل[2]، واقترح بأن يكون التعليم بالتدريج شيئا فشيئا، وأن يمرّ بثلاثة مراحل[3].

أمّا الأندلسيون فكان منهجهم يختلف عن هذا المنهج، إذ كان الطّفل يبدأ بتعلّم القراءة والكتابة، ثمّ النحو واللغة والحساب، وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق، وعلوم الطبيعة، ثمّ يليها علم الأخبار، والماورانيات وأخيرا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة[4].

نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في مجال التعليم، المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم[5]، وساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، سيما المسجد الجامع بتلمسان، الذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب الأوسط، وذلك راجع لعملهم في مجال التعليم[6]، ومن مظاهر تأثير الأندلسيين في المجال التعليمي بروز جيل من العلماء الذين برعوا في العلوم الدينية خاصة الفقه والتفسير[7].

وقد أدّى احتكار أهل الأندلس لميدان التعليم دون غيرهم إلى اضمحلال الخط الإفريقي وتعويضه بالخط الأندلسي، ويشير ابن خلدون إلى ذلك قائلا: "وأمّا أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلّب عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقيا من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد،

---

[1]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 91.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 587-579.

[3]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص93-95.

[4]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص 44.

[5]- مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 64.

[6]- محمد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003-2004، ص 29.

[7]- المرجع نفسه، ص 30.

وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلّقوا بأذيال الدولة، فغلب خطّهم على الخطّ الإفريقي وعفا عليه"[1].

كما لقيت التّآليف والمصنفات الأندلسية، سواء التي نقلت من الأندلس، أو التي ألفت بالمغرب الأوسط، اهتماما كبيرا إذ اعتمدها الأساتذة في التعليم بمختلف مدارس ومساجد المغرب الأوسط، ومن أهمّ المؤلفات: لامية الشاطبي، وتفسير القرطبي...[2].

- **في المجال العمراني:**

ترك الأندلسيون آثارا في غاية الروعة والجمال، ولا تزال لحدّ الآن ماثلة وشاهدة على ازدهار الحضارة الأندلسية ورقيها، ولا تزال لحدّ الآن تثير الإعجاب، ليس من قبل المسلمين فقط، بل ومن قبل الغرب أيضا، وقد تأثّرت الفنون المعمارية والهندسية بتلمسان هي الأخرى بالعناصر الأندلسية، فانعكس الازدهار المعماري في الأندلس إيجابا على بلاد المغرب الأوسط بصفة عامّة وتلمسان بصفة خاصة، نتيجة الهجرات الأندلسية تجاه مدنه، إذ كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفنّانين والحرفيين والصناعيين[3].

بدأت التّأثيرات الأندلسية في المغرب الأوسط منذ عهد يوسف بن تاشفين، وتتمثّل هذه التّأثيرات خصوصا في الجامع الكبير بتلمسان والذي شبيه محرابه محراب جامع قرطبة، فالظّاهر أنّ مهندس الجامع الأعظم بتلمسان قد تأثّر بجامع قرطبة تأثرا كبيرا[4]، وحتى الكتابات والزخارف الموجودة بجامع تلمسان هي شبيهة بتلك الموجودة بجامع قرطبة[5].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 587-589.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ص 51.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 176.

[4]- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص59-60، ينظر كذلك: صادق خشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001، ص98.

[5]- المرجع نفسه، ص 98.

لم تتوقف التّأثيرات الأندلسية تتدفّق على تلمسان في النصف الأول من القرن الثالث عشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر، وذلك راجع للاهتمام الكبير من قبل السلاطين الزيانيين بهذا المجال، ومن ذلك أن طلب أبو حمو الأول (707هـ/718هـ) وابنه أبو تاشفين (718هـ-737هـ) من السلطان أبي الوليد إسماعيل سلطان غرناطة (713هـ-725هـ) أن يبعث إليهم عددا من الصنّاع والفنّانين لبناء القصور بحاضرة تلمسان، فصارت بذلك المدينة مليئة بالقصور والدور والحدائق[1].

ويتجلّى التّأثير الأندلسي كذلك في مسجد العبّاد الذي يعبّر أصدق تعبير عن عمق تأثّر العمارة بتلمسان بالعمارة الأندلسية، بالإضافة إلى مسجد أبي الحسن التنسي الذي بناه السلطان أبا سعيد الأول والذي هو صورة مماثلة لمسجد قصر الحمراء[2].

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 60-61.

[2]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 61.

خاتمة

تتبّعت بشيء من التفصيل الحياة الثقافية في كل من تلمسان وغرناطة، ووقفت على أبرز الصلات الثقافية بين المدينتين.

فقد أسفر البحث عن جملة من النتائج هي كالآتي:

أولا: إنّ الروابط والعلاقات بين دول المغرب الإسلامي والمشرق قديمة، شملت المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، ومن بين أهمّ هذه العلاقات ، المغرب الأوسط والأندلس والتي تعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية، وقد تناوبت هذه العلاقات بين الضعف والقوة حسب الظروف التي سادت كلّ بلد.

ثانيا: لقد ساعدت عدة عوامل على ازدهار الحياة الثقافية بتلمسان وغرناطة أهمها: تشجيع السلاطين للحياة الثقافية، ودور المؤسسات التعليمية والرحلة في طلب العلم، وازدهار فنّ الوراقة، وانتشار التعليم بالإضافة إلى الموروث الثقافي لتلمسان وغرناطة.

ثالثا: كانت مدينتي تلمسان وغرناطة منارتين للعلم ومركزي إشعاع حضاري تزخران بالعلماء وتعجّان بمختلف أصناف العلوم.

رابعا: لقد ساعدت عدة عوامل على تمتين الصلات بين المدينيتن منها: الهجرة الأندلسية والتي جاءت لنتيجة حتمية للظروف الصعبة التي عاشتها بلاد الأندلس في ظلّ التّكالب المسيحي على مدنها واحدة تلو الأخرى.

كما كان لسيادة مذهب واحد دور هام في تمتين العلاقات الثقافية فوحدة المذهب سهّلت تنقّل العلماء بين المدينتين، وتبوّأ العديد منهم لمناصب العليا كالتّدريس والفتوى والقضاء.

بالإضافة إلى هذه العوامل ساهم عامل آخر لا يقلّ أهمية عن سابقيه، ألا وهو عامل القرب الجغرافي الذي شجّع انتقال العلماء.

لقد تجسّدت عن هذه العلاقات العديد من النتائج أهمها:

خامسا: التأثير الكلي والواضح للأندلسيين في عدة ميادين، خاصة الجانب العمراني الذي كان له حظّ كبير من التأثير الأندلسي ويتجلّى ذلك على وجه الخصوص في التشابه الكبير بين عمارة تلمسان وغرناطة وتأثير السلاطين الزيانيين لمظاهر العمران في غرناطة.

وقد اشتمل هذا التأثير أيضا مجال التعليم، إذ نقل علماء الأندلس طريقتهم الخاصة في التدريس إلى تلمسان، فصار يعمل ويُعتدّ في مختلف المدارس.

ولم يقتصر التّأثير المتبادل على علماء تلمسان بل شمل أيضا علماء تلمسان الذين تمتّعوا بمكانة مرموقة وتخرّج على أيديهم العديد من العلماء من بينهم علماء من غرناطة، فنتج عن هذا الأمر تواصل علمي بين الحاضرتين، ومتّن العلاقة بينهم، فتبادل الطرفان المراسلات العلمية والإخوانية والمصنفات والفتاوى.

ومن هنا يمكن القول أنّ الصلات الثقافية بين تلمسان وغرناطة تتمثّل بصورة أساسية في حركة العلماء بين القطرين، فكان هؤلاء همزة وصل ساهمت في رقيّ العلوم في الحاضرتين.

وإنّي لآمل أن أكون قد اهتديت إلى بعض الحق، ووفقت إلى بعض الصواب، وساهمت في جلاء غامض وكشف عن مجهول، والله المستعان وله الحمد من قبل ومن بعد.

قائمة المصادر و المراجع

1 – المصادر:

- ✓ **01**- ابن أبي زرع، علي بن محمد الفاسي (ت 726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- ✓ **02**- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (ت807هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق وتقديم: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001.
- ✓ **03**- (----------)، نثير فرائد الجمان فبيمن نظمني وإياه الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1967.
- ✓ **04**- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، (ت776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد بن الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974.
- ✓ **05**- (----------)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- ✓ **06**- (--------)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، تحقيق: ليفي بووفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
- ✓ **07**- (-------)، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.
- ✓ **08**- (-------)، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003.
- ✓ **09**- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت 327هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989.
- ✓ **10**- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، دار الجيل، بيروت، 1993.

- ✓ **11**- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000.
- ✓ **12**- (-------)، المقدمة، دار الشرق العربي، بيروت، 2004.
- ✓ **13**- (-------)، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، 1979.
- ✓ **14**- ابن خلدون، أبو زكريا يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.
- ✓ **15**- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 681)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، م4، دار صادر بيروت.
- ✓ **16**- ابن فرحون المالكي برهان بن علي بن محمد (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- ✓ **17**- ابن مرزوق محمد بن التلمساني (ت 781)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بغيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ✓ **18**- ابن مريم، أبو عبد الله أحمد المليتي التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- ✓ **19**- الإدريسي، أبو عبد الله الشريف (ت 548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.
- ✓ **20**- التنبكتي، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 1036)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989.

- ✓ **21**- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- ✓ **22**- (--------)، تاريخ دولة الأدارسة، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ✓ **23**- الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1324هـ/1906م.
- ✓ **24**- الحموي ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله محمد (ت 626هـ)، معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر، بيروت.
- ✓ **25**- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- ✓ **26**- (---------)، صفة جزيرة الأندلس، جزء من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988.
- ✓ **27**- القلصادي، (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي، ت 891هـ)، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل المعروف برحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس.
- ✓ **28**- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5.
- ✓ **29**- المراكشي عبد الواحد (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ✓ **30**- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ، محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.

- ✓ **31**- الوزان حسن (ت 956هـ)، وصف إفريقيا، ط2، تر محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ✓ **32**- اليعقوبي (إسحاق أحمد بن ابي يعقوب ت 274هـ)، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

2 – المراجـع:

- **33**- ابن مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، 1349.
- **34**- أبو زهرة محمد مالك، حياته، عصره وآراؤه الفقهية، دار الفكر العربي، بيروت.
- **35**- أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996.
- **36**- أرسلان شكيب، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار الحياة، بيروت، 1983.
- **37**- بن قربة صالح وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر 1954، 2007.
- **38**- بورويبة رشيد، الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، ترجمة محمد بلقرادن الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **39**- بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في ق9هـ/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- **40**- التازي عبد الهادي، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المدينة المنورة، 2005.
- **41**- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- **42**- (------)، الحياة الفكرية في الجزائر في عهد المرابطين والموحدين، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- **43**- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، ج3، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- **44**- الحفني عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ط1، دار الرشاد ، القاهرة، 1992.
- **45**- الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بنيي زيان عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- **46**- دياب حامد الشافعي، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
- **47**- الذنون عبد الحكيم، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988.
- **48**- زكي محمد حسن، الرحاة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.
- **49**- سالم عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
- **50**- (-------)، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1967.
- **51**- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.
- **52**- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- **53**- شبارو محمد عصام، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91هـ-897هـ/ 710م-1492)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002.
- **54**- شبانة محمد كمال، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة 733هـ-755هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.
- **55**- الشطشاط علي حسين، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2001.

- 56- شندب محمد حسين، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن 5 الهجري، ط1، دار النفائس، بيروت، 1984.
- 57- الصوفي خالد، تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة الأموية، ط2، منشورات جامعة قاريونس، كلية الأداب، 1980.
- 58- ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات في الأندلس، دار المعارف، القاهرة.
- 59- (------)، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، ط1، دار المعارف، القاهرة.
- 60- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت.
- 61- الطمار محمد عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 62- (-------)، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- 63- (-------)، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 64- الطوخي أحمد محمد، مظاهر الحضارةفي الأندلس في عهد بني الأحمر، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، 1997.
- 65- عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.
- 66- (--------)، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1997.
- 67- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و8هـ، مكتبة فهد الوطنية، 1996.
- 68- فارسي حسين، أبو مدين شعيب حياته وأدبه، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر.

- **69**- فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظلّ بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993.
- **70**- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- **71**- عثمان هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين 9و20م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- ***الرسائل الجامعية:***

- **72**- بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة تلمسان، 2005-2006.
- **73**- بوشقيف محمد، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003-2004.
- **74**- خشاب صادق، تأثير الفنّ الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية تلمسان، 2001.
- **75**- عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط على عهد بني زيان (633هـ-962هـ/ 1236-1554م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005.
- **76**- مكيوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتة نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1263م-1337م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2008.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

مقدمة

مدخل 1

* تلمسان قبل العهد الزياني 1

* قيام دولة بني عبد الواد بتلمسان. 2

* أصل بني عبد الواد 2

* تأسيس الدولة الزيانية 3

* أصل بني الأحمر و بدايتهم بغرناطة 6

* تأسيس الدولة النصرية 7

الفصل الأول:عوامل ازدهار الحياة الثقافية بتلمسان وغرناطة

1.تشجيع السلاطين للحياة الثقافية 9

2.دور المؤسسات التعليمية 11

1.2المساجد و الكتاتيب 11

2.2 المدارس 12

3.2 الزوايا 16

4.2 المكتبات 18

3.الرحلة في طلب العلم 18

4.ازدهار فن الوراقة 19

5.انتشار التعليم 20

6.الموروث الثقافي لتلمسان و غرناطة 21

الفصل الثاني:أصناف العلوم و مشاهير العلماء بتلمسان و غرناطة 22

1.أصناف العلوم و مشاهير العلماء بتلمسان 23

فهرس الموضوعات

1.1 العلوم الدينية	23
أ.علوم القرآن الكريم	23
ب.علوم الحديث	24
ج.الفقه	24
د.أصول الفقه	24
ه.علم الفرائض	24
و.علم التصوف	25
2.1 العلوم اللسانية	27
3.1 العلوم الإجتماعية	29
4.1 العلوم العقلية	32
2.أصناف العلوم و مشاهير العلماء في غرناطة	35
1.2 العلوم الدينية	35
2.2 الحياة الأدبية في الأندلس في القرنين 7ه و8ه	39
3.2 العلوم الإجتماعية في الأندلس	42
4.2 العلوم العقلية	43
الفصل الثالث:مظاهر الصلات الثقافية بين تلمسان و غرناطة	45
1.عوامل تمتين العلاقات بين تلمسان و غرناطة	45
أ.العامل الجغرافي	45
ب.الوحدة المذهبية	46
ج.الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط	48
2.مظاهر العلاقات الثقافية بين تلمسان و غرناطة	50
أ.التبادل العلمي	50
ب.المراسلات الإخوانية	52

فهرس الموضوعات

ج. حركة العلماء بين القطرين	55
د.التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط	59
* في المجال العلمي	59
* في المجال العمراني	61
الخاتمة	63
قائمة المصادر و المراجع	65
فهرس الموضوعات	72